TAS_ 811_07

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر موسومة بـ:

مظاهر الحضارة في القصيدة الأندلسية

من إعداد الطالبتين :

- عمارية بن طاطة.
- فايزة رحال.

تحت إشراف الأستاذة:

- فتيحة بن يحي

السنة الجامعية: 1432-1433هـ/2011-2012م

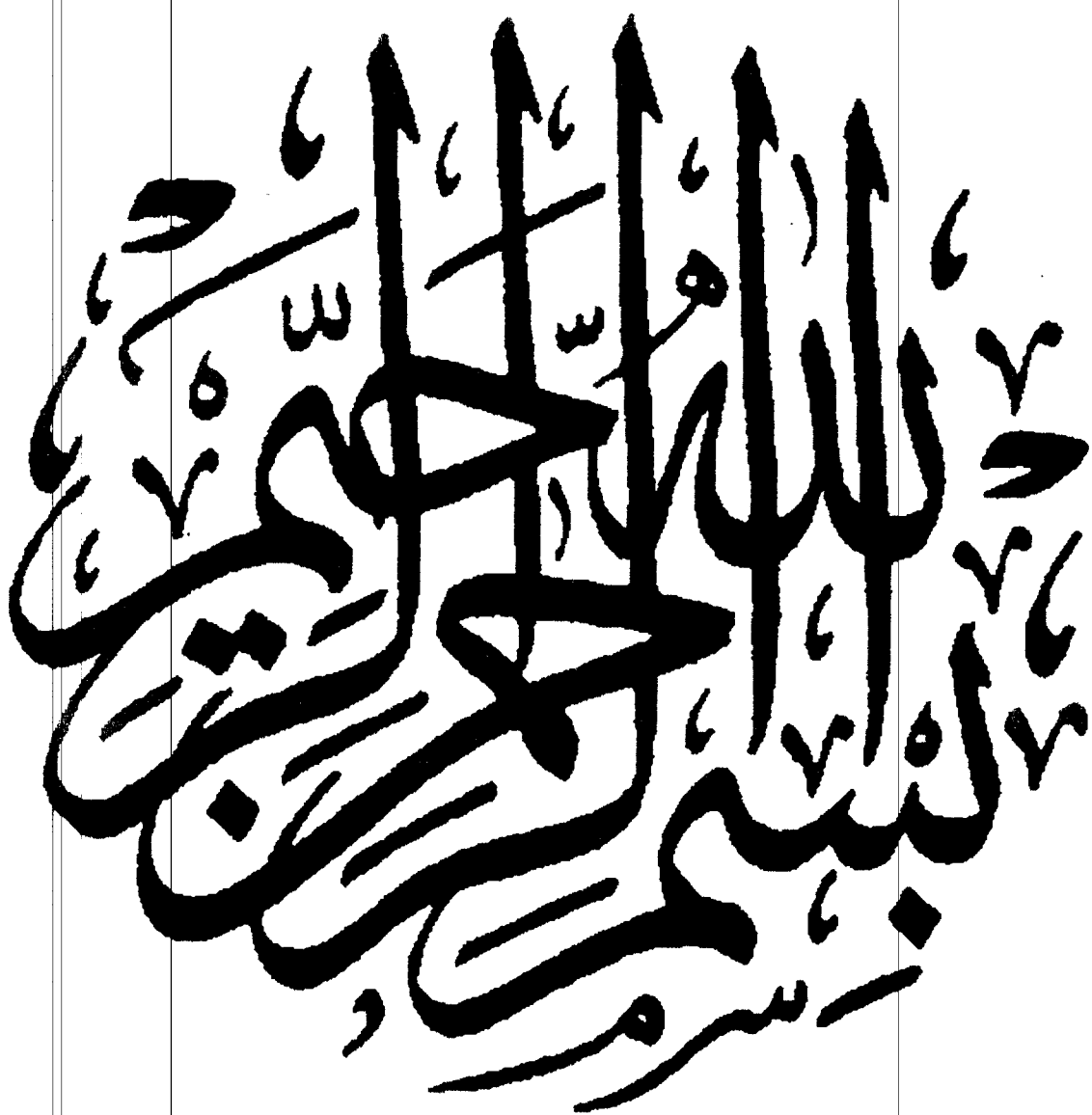
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) سورة النمل: الآية: 19

كلمة شكر

نحمد الله تعالى ونشكره على توفيقنا لإتمام هذا العمل، وأنعم علينا بنعمه الكثيرة.

كما نشكر الوالدين الكريمين الذين أتاحا لنا فرصة التعلم.

نتقدم بالشكر والتقدير لأسرة جامعة تلمسان وإلى كل الأساتذة في قسم اللغة العربية وآدابها الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم ولاسيما الأستاذة "فتيحة بن يحي" التي أشرفت على هذه الدراسة، فكانت بنصائحها وعلمها منارة تهدي بهديها جزاها الله عنا كل خير.

كما نتقدم بخالص شكرنا وعظيم امتناننا إلى سادة أعضاء لجنة المناقشة على صرفهم جزء من وقتهم الثمين في قراءة ومناقشة هذا البحث دون أن يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا بكتاب أو شجعنا بكلمة أو أفادنا بفكرة.

إهداء

الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى

وبعد أهدي ثمرة جهدي:

إلى التي رأتني قلبها قبل عينها وحضنتني أحشائها قبل يدها

إلى التي جعل الله الجنة تحت قدميها، والتي غمرتني بعطفها وحنانها، أمي العزيزة أهدي سلامي ومحبتي إليك.

أمي ربما لو أبرك تمام البر، لكني أعلم أن قلبك أكبر من أي بر، رعاك الله وجزاك من الثواب كل الجزاء

إليك أبي الحبيب

إلى قدوتي الأولى في الحياة والشعاع الذي ينير دربي، إلى من رفعت رأسي عاليا افتخارا به، إليك يا من أفديك بروحي، فمشاعري أكبر من أسطرها على الورق، ولكني لا أملك سوى أن أدعو الله عز وجل أن يبقيك ذخرا لنا، ولا يحرمنا ينابيع حبك وحنانك أبي العزيز أطال الله عمرك

إلى الروح التي سكنت روحي إلى زوجي وحبيبي رشيد حفظه الله ورعاه وإلى التي جمعتني بهم أقدس صلة إخوتي: نورية، أحمد، عبد القادر، ونور حياتي "ست"

إلى جدي وجدتي أطال الله في عمرهما

إلى روح جدتي الغالية رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه

إلى أستاذتي التي أشرفت علينا وساعدتنا بكل الإمكانيات لإنجاز هذا العمل "فتيحة بن يحي"

إلى من شاركتني هذا العمل صديقتي فايزة وعائلتها

إلى صديقاتي: سعاد، نورية، دلال، حيوبة، سمراء، سارة وإلى كل من ترك ذكرى عزيزة في قلبي

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في سبيل تقديم هذا الجهد وكل

عمارية

إهداء

أهدي عملي هذا إلى الذي خلقني فأحسن خلقي

إلى التي حملتني وهنا على وهن وأفاضت عليّ بفيض حنانها أمي العزيزة

إلى الذي ربتني صغيرة ورعاني كبيرة ولم يدخر جهدا في سبيل إسعادي إلا جاد به أبي الغالي

إلى الذين شاركوني حلو الحياة ومرها ومشاركتهم أخواتي وأزواجهم (مريم، وردة، ربيعة، فاطمة، سميرة، سهام)

إلى براعم العائلة (أسامة، آية، بهاء الدين، فادية، مروى)

إلى رفاق الدرب الجامعي، وجميع الأصدقاء: عمارية وعائلتها وسارة وعائلتها وسعاد وأمينة

إلى خطيبي حفظه الله أهدي هذا العمل المتواضع

فايزة

مقدمة

المقدمة

تميزت الحضارة الأندلسية عن بقية الحضارات الأخرى بطابع انفرادي من وجوه متعددة تتعلق بالمدة الزمنية التي قامت فيها هذه الحضارة والتمازج البشري الذي طبعها حيث اختلفت فيها الأجناس وتكاملت تم أيضا بالمنجزات التي حققتها في فترة زمنية وجيزة في شتى المجالات العلمية والعمرانية والأدبية، وقد كانت هذه الحضارة ملهمة للشعراء الذين تجاوبوا معها، فأبدعوا قصائد مثلت جوانب مختلفة منها، لذلك وجد الباحثون فيها منبعا يستقون منه ملامح تاريخية وأخرى حضارية للتعرف عليها والاستفادة منها.

- وقد وجدنا الأندلسيين قد تميزوا في أغراض معينة كالموشحات والزجل ورثاء المدن والمماليك إضافة إلى شعر الطبيعة التي وصفت معالم هذه الحضارة وسجلتها بأحرف من ذهب وعليه كانت الإشكالية البحث كالآتي:

- ماهي المظاهر الحضارية التي وجدت في الأندلس؟

- وهل توافرت القصيدة الأندلسية على هذه المظاهر؟

- وقد دفعنا إلى اختيار الموضوع أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، أما الذاتية فتمثلت في الميل الذي وجدناه تجاه الحضارة للكشف عن خباياها، أما الموضوعية فهي محاولة التعريف بالمظاهر الحضارية للأندلس التي تميزت عن باقي الحضارات

ولتحقيق غاية البحث ارتأينا أن نقسم بحثنا إلى مدخل وثلاثة فصول، أما المدخل فتناولنا فيه ماهية الحضارة، وتعرفنا في الفصل الأول على العصر الأندلسي سياسيا واجتماعيا وعلميا واقتصاديا.

و تناولنا في الفصل الثاني مظاهر الحضارة العربية الإسلامية مبتدئين بمظهر الغناء والموسيقى ثم مظهر الثقافة ثم الفنون الاسلامية وفن الزخرفة لنصل إلى مظهر العلوم لننتهي إلى مظهر اللباس والخط العربي.

وفي الفصل الثالث فكان لمعالجة التجليات الحضارية في القصيدة الأندلسية حيث حاولنا من خلاله أن نقرأ النصوص ونعالجها مستخرجين المظاهر الحضارية التي وسمتها القصيدة الأندلسية بمختلف فنونها وأغراضها. وكانت الخاتمة عبارة عن جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا للموضوع.

وقد اتبعنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي التحليلي، كما تشير إلى بعض الصعوبات ولعل أهمها:

- كثرة المراجع التي تناولت الأدب الأندلسي بصفة عامة ونقصها من جانب تناولها لهذا الأدب حضاريا ولعل أهم اعتراض واجهناه هو ضيق الفترة الزمنية التي خصصت للبحث.

وقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها: في الأدب الأندلسي لمحمد رضوان الداية، الأدب الأندلسي مصطفى الشكعة، تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف، وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة "فتيحة بن يحيى" كما نأمل أن نكون بهذا الجهد المتواضع قد وصلنا الى الغاية المنشودة ونسأل الله سداد الرأي والتوفيق، إنه نعم المولى، ونعم النصير.

الطالبة : بن طاطة عمارية

الطالبة : رحال فايزة

تلمسان يوم : 2012/06/30

المدخل

ماهية الحضارة العربية الاسلامية

1) ماهية الحضارة

- لغة

- اصطلاحا

2) عوامل الحضارة

3) مصادر الحضارة

4) خصائص الحضارة

5) عناصر الحضارة الإسلامية

1- ماهية الحضارة :

1- لغة :

أ- من اللغة : كلمة الحضارة في اللغة العربية مشتقة من فعل "حضر" الذي هو نقيض غاب ، ومنه المغيب ، ومشتقات هذه المادة هي : حضر، يحضر ،حضورا وحضارة ويقال بحضرة ماء أو عنده، وحضرة الصلاة، والحضرة خلاف البادية، والحاضر المقيم في المدن والقرى، والبادي المقيم بالبادية ، والحضرة والحضر والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الدّيار التّي يكون لهم بها قرار (1).

ب- المعجم الوسيط : الحضارة : الإقامة في الحضر قال القطامي :

وَمَنْ تَكُنْ الحَضَارَةُ أعْجَبَتْهُ فَأيُ رجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا

الحضارة ومظاهر الرّقي العلمي والفني والأدبي والإجتماعي في الحضر.

ج- في دائرة معارف القرن العشرين : الحضارة في اللغة هي الإقامة في الحضر بخلاف البداوة ، وهي الإقامة في البوادي ويقول جميل صليبا في المعجم نفسه ومع أنّ استعمال هذا اللفظ القديم فإنّ أوّل من أطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر هم ابن خلدون ، ففرق في مقدمته بين العمران البدّوي والعمران الحضري وجعل أجيال البدّو والحضر طبيعته، في الوجود فالبداوة أصل الحضارة والبدّو أقدم من الحضر، وإذا كانت البداوة أصل الحضارة غاية البدّاوة ونهاية العمران (2) .

(1) لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار احياء التراث العربي 1408 1988 ، الجزء 3 ص 8
(2) مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي، آمنة تشيكو، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1980 ، د ط ، ص107

- والحضارة لغة تعني كذلك المدينة وهي سكن المدن، وهي بذلك مرادفة المدينة ومنها المدينة ومن السهل إدراك العلاقة المعنوية بين اللفظتين ذلك أنّ الحضارة والتمدّن تعنيان الأخذ بأخلاق المدينة أو الحضارة، فهما تعنيان التنعم والترف .إلاّ أنّ هذا الإطلاق القائم على الترادف بين الحضارة والمدينة فيه تجاوز يدعوا إلى الخلط ، فكان لابّد من التمييز بين الجانب الفكري والروحي وبين الجانب المادي والتكنولوجي (1)

2- اصطلاحا :

أ- دائرة المعارف الغربية : إنّ كلمة الحضارة ذكرت في إحدى الموسوعات الفرنسية الكبرى ليست عريفة الإستعمال حتىّ أنّ قاموس الأكاديمية منها إلاّ ابتداء من 1835 وهي تقابل كلمة توحش أو همجية وتواصل نفس الموسوعة بأنّ هذا اللفظ بالرغم من تداوله يبقى معناه غامض ويصعب تعريفه تعريفا جيّدا ولعلّ تعريف "ليتري" لها أوضح وأدق من غيره فهو يقول الحضارة هي مجموع الآراء والعادات والتقاليد التي تنتج من الفعل المتبادل للفنون الصناعية والدّين والفنّون الجميلة والعلوم (2) .

ب- الحضارة عند علماء الاجتماع :

في إنتاج الإنسان المدني الاجتماعي بخصائصه الفكرية الوجدانية والسلوكية ، تحقيقا لأهداف أمته ، وما ارتضته لنفسها من قيّم ومثل (3) .

---

(1) المرجع السابق،ص 18 .
(2) المرجع نفسه،ص108 .
(3) مقومات الحضارة الانسانية في الاسلام، حسن رمضان،فحلة ط1، دار الهدى عين مليلة الجزائر،ص 13 .

ج- الحضارة عند ابن خلدون :

الحضارة هي تفنّن في الترف، وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه، ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله (1) .

- إنّ ابن خلدون بين لنا أنّ الحضارة لا تظهر إلاّ في المدن والقرى، وأنّه هدف وغاية العمران تتصل بالتفنّن والترف، واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع وسائر الفنون، والحضارة عنده لا تظهر في البادية للإقتصار البدو على الضروري من العيش الذّي يحفظ الحياة من غير مزيد .

د- الحضارة عند مالك بن نبي : الحضارة عند مالك بن نبي هي تركيب عناصر ثلاثة أو ناتج حضاري يساوي: إنسان + تراب + وقت وفي بدايتها يقول أنّ الحضارة بدأ بظهور فكرة دينية، ثم يبدأ قولها بتغلب جاذبية الأرض عليها بعد أن تفقد الروح ثم العقل، ويعبر عن ذلك في المعادلة التالية:

الإنحطاط = انحطاط النفس + انحطاط الروح + انحطاط العقل

فقد بعث الدّين في المسلم روحا محركا للحضارة فلم يلبث بعد فترة قضاها في الخلافات والحروب أي مرحلة تأسيس الدولة أنّ عاد إلى حيث هو الآن انسانا بدائيا (2) .

---

(1) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن، دار القلم بيروت، 1984 ، ط 5 ، ص 120
(2) فلسفة الحضارة، اشف تسر البرت، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت 1983 ، ط 3 ، ص 3 – 4

من هذه التعاريف للحضارة ثلاث اتجاهات هي :

التجاه الأول : يركز على الجانب المادي للإنسان والحياة .

الاتجاه الثاني : يركز على الجانب الروحي أو المعنوي للإنسان .

الاتجاه الثالث : وهو الذي يجمع بين الجانبين المادي والمعنوي للإنسان والحياة.

- وانطلاقا من هذه الإتجاهات، فإنّ الحضارة الإسلامية هي كلّ إنتاج روحي ومادي ينسب إلى الشعوب التّي دخلت في الإسلام، ونشّرت نمط الحياة الإسلامية ونهضت بفطرة الإنسان روحيا وماديا ودينيا وعقلا وبطنا وقلبا وضميرا، وكلّ هذا في توازن ذو اتساق لا نظير له (1) .

2- عوامل الحضارة :

إنّ عوامل تكوّن الحضارة من الحضارات يتطلب توافر أربعة عناصر هي :

1) موارد اقتصادية يتحقق بها المزيد على ما هو ضروري للحياة .

2) النّظر السياسية من أيّ نوع كانت، يطمئن النّاس فيها على الأنفس والأموال .

3) تقاليد خلقية يرى بها الجميع ليطرد سلوك الناس وينتظر، متخذا طريقه إلى هدف يسعى الجميع إلى تحقيقه .

4) متابعة العلوم والفنون (2).

(1) أنظر مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي : أمينة تشيلو، ص 133 .
(2) الحضارات البشرية ومنجزاتها محمد سعيد حمدان، محمود عواد،الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ص 13

3 – مصادر الحضارة العربية الاسلامية :

3-1- القرآن الكريم : يعد القرآن الكريم بالنسبة للحضارة الاسلامية أهم مقوّم أو مصدر لها ذلك أنّ القرآن ورد فيه ما هو تاريخ، ومعتقد، وتشريع، وعلم وفكر وأدب ..... فهو إذن أمد المؤرخين بأخبار الأمم الغابرة كعاد وثمود، وبأخبار الأنبياء كنوح وابراهيم وعيسى وموسى عليهم السلام، وأمد الفقهاء، والمشرعين بأحكام عامة فصّل فيها هؤلاء وتوسعوا، كما أمد أيضا أصحاب الفكر من فلاسفة، واجتماعيين، وسياسيين بكليات كانت ضوء هاديا لهم في الوصول إلى كثير من الحقائق في هذه المجالات، والقرآن ببلاغته (1)

قال تعالى :" لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (2)

وهو يحدّد العلاقة بين الفرد وربّه، والفرد وأسرته، وبين أسرته والمجتمع، وبين المجتمعات بعضها ببعض، ولهذا يعد القرآن أحد الأسس الرئيسية في بناء الحضارة العربية الاسلامية .

(1) معالم الحضارة العربية الاسلامية مدخل، نظم، علوم، زراعة وصناعة، اجتماعيات، عمارة وفنون، تأشيرات، اسماعيل سامعي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية 2007 ص 14

(2) سورة البقرة الآية 256

3-2- السنة النبوية الشريفة : السنّة النبوية الشريفة تعد مصدرا ثانيا من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن، ذلك أنّ كل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول وفعل وإقرار هو من توجيه الله سبحانه وتعالى إذ الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى (1)

قال تعالى :" وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هو إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى " (2)

وقال أيضا :" وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " (3)

ورغم الصعوبات التّي واجهت تدوين الحديث النبوي الشريف فقد تم ظهور مجموعات من كتب السنّة تعرف باسم بالصحاح والسنن مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجه، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وغيرها من المصنفات .

(1) المرجع السابق،ص 15
(2) سورة الحجر الآية 09
(3) سورة الحشر الآية 07

3-3 التراث الشفوي : لقد كان العرب شبه الجزيرة في عصور ما قبل الاسلام تراث شفوي هام يتمثل في الشعر، والأمثال والحكم، والقصص، والأحاجي والألغاز والخطب وقد اشتهروا بالشعر حتى سموا بأمة الشعر، وقديما قيل الشعر ديوان العرب في الجاهلية، فاستنتجوا بعض أيّامهم وحروبهم وعرفوا منه أخلاقهم التّي يمدحونها، والتّي يهجونها، واستدلوا به على جزيرة العرب، وما فيها من مناطق وجبال وسهول ووديان ونبات وحيوان، واعتقادهم في الجنّ، والأصنام، والخرافات، وألقوا في ذالك الكتب المختلفة (1)

- وعلى العموم فهذا الشعر الذي يعتبر أوّل الأنواع الفنية كما كان عند اليونان وهو بضاعة الأمم البّدوية .

- والأمثال والحكم هي الأخرى لا تقل أهمية عن الشعر، فمن أمثال الأمة نفهم أنّ الدّرجة التّي وصلت إليها، ونعرف الكثير من أخلاقها وعاداتها، وللأمثال من هذه الناحية ميزّة عن الشّعر ذلك أنّ الشعر تعبير عن طبقة من النّاس يعدّون في مستوى أرقى من مستوى العامة كما كان للعرب قصص يرد كثير منها على لسان الحيوان، وهو ضرب للعبرة والعظة .

(1) الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، اسحاق رياح، سليمان أبو سليم، دار كنوز، المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، ط 2 ، ص 18

والخطابة ظهرت متأخرة عند العرب مقارنة بالشعر، ووصلنا منها الشيء اليسير كخطبة قيس بن ساعدة الأيادي، ومن خصائصها السجع والإيجاز، وتملأ الحكم والأمثال وأحيانا يمزجها بالشّعر (1)

3-4- التراث المادي : كان للعرب قبل ظهور الاسلام تراث مادي أثري وكتابي تجلى في بقايا الحضارات التّي قامت على أطراف شبه الجزيرة العربية في الشّام والعراق وجنوبا في اليمن وقد دّعم تأثيرها وسط شبه الجزيرة، فكان لها شأن عظيم في تاريخ التقدم الإنساني ففي الجنوب رعت هذه الحضارة ثلاث دول وهي :

- الدولة المعينية
- الدولة أو المملكة السبائية (800 – 150 ق م)
- الدولة الحميرية (115 ق م – 525 م) (2)

(1) معالم الحضارة العربية الاسلامية، مدخل، نظم، علوم، زراعة وصناعة، اجتماعيات، عمارة وفنون، تأشيرات، د/ اسماعيل ساهي ص 17

(2) المرجع نفسه، ص 19

4 ـ خصائص الحضارة الإسلامية :

إنّ لكلّ أمة من الأمم حضارة خاصة بها، ذلك أنّ حضارة أيّ أمة إنّما هي ناتجة ومنبثقة عن أفكار عقيدتها أو فلسفتها التّي تؤمن بها والتّي تمثل جهة نظرها عن الحياة، وهذا هو سر اختلاف الحضارات وتمايزها .

ومن هنا فإنّ الحضارة الإسلامية تختلف عن غيرها من الحضارات سواء القديمة منها كالإغريقية والهندية وغيرهما، أم الحديثة كالحضارة العربية والحضارة الإشتراكية .

وعلى هذا فإنّ القول بوحدة الحضارة الإسلامية وسائر الحضارات قول خاطئ، فالحضارة الإسلامية ليست مكملة ولا متممة الإسلامية، فالحضارة الاسلامية تقوم على أساس عقيدة التوحيد وعلى ادراك صلة الانسان بخالقه وهذه العقيدة تجعل رضوان الله غاية للإنسان، ولذلك فهو يسعى في هذه الدنيا إلى العمل لنيلها في الآخرة، أمّا الحضارات الأخرى فإنّها حضارات تقوم على الوثنية كالإغريقية والهندية وعلى المادية وانكار الناحية الروحية كالحضارة الغربية وعلى الأحادية كالحضارة الاشتراكية، ومن هنا فالأمر بدهي أنّ تمتاز الحضارة الاسلامية عن غيرها من الحضارات بخصائص نذكر منها :

أولا: الوحدانية المطلقة

ثانيا : الاتجاه الانساني

ثالثا: الاتجاه الأخلاقي في المبادئ والأهداف

رابعا: التسامح الديني (1)

(1) نظرات في الثقافة الإسلامية، عز الدين الخطيب التميمي، عمار قرفي باتنة ص 203

أولا: الوحدانية المطلقة

فالوحدانية المطلقة في العقيدة الاسلامية تعني أنّ ليس هناك الاه غير الله وأنّه وحده الخالق، يقول تعالى :" ذَلِكُمْ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ " (1) وهو مالك كل شيء، قال تعالى :" وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ " (2) لا ينازعه ولا يشاركه أحد (لا شريك له) وهو وحده الذّي يتوجه اليه بالعبادة ويلجأ اليه في الشدائد، قال تعالى :" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " (3)

- في ضوء هذا المفهوم العقدي فإنّ الحضارة الاسلامية هي الحضارة الوحيدة التي تحررت من مفاهيم الشّرك والوثنية وعبادة الطواغيت والأصنام، فهي حضارة لا تستند إلى خشبة صنعت ولا إلى تمثال نحت أو إلى تصورات وهمية أسموها دينا، وإنّما هي حضارة قائمة على أساس فكري مستيسر يقنع به العقل وتتقبله الفطرة، وفي ضوئها يجري اشباع الغرائز والحاجات العضوية (4)

ومن مظاهر هذه الوحدانية المطلقة في الحضارة الاسلامية ما يلي :

- صححت هذه الحضارة العلاقة بين الناس، وأزالت القدسية عن أيّ من البشر فوقفت في وجه من يدّعي الرّبوبية والألوهية كفرعون وأمثاله " وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ " (5)

(1) سورة الأنعام الآية 102
(2) سورة المائدة الآية 122
(3) سورة الفاتحة الآية 05
(4) نظرات في الثقافة الإسلامية عز الدين الخطيب التميمي ص 204
(5) سورة آل عمران الآية 64

وحرّمت السّجود لغير الله، ورفضت بإصرار إحناء الرأس أمام أيّ قوة غير الله سبحانه وتعالى، فالكل عبيد لله ربّ العالمين .

- خلو آداب الحضارة الإسلامية من مفاهيم الشّرك والوثنية، وهذا سرّ عزوف المسلمين عن ترجمة آداب اليونان كالإلياذة ولأوديسة وغير ذلك لقيامها على أساس الوثنية وتعدد الآلهة .

- خلو الفنّون الإسلامية من النّحت وصناعة التماثيل التي تعدّ من أبرز مظاهر الحضارة الوثنية القديمة الحديثة.

وقد يفسّر عدم اهتمام المسلمين بالنحت أو التصوير بعجزهم عن القيام بذلك ولكن الشواهد تثبت أنّ القدرة على القيام بذلك كانت متوافرة لدى المسلمين بدليل أنّهم برزوا في مثل هذه الفنون قبل الإسلام، كما أنّهم برزوا بعد إسلامهم في فنون أخرى كالزخرفة والخط والعمارة والنقش والحفر على الخشب وغيرها، وذلك لعدم تناقضها مع عقيدة التوحيد .

- وتمتاز الحضارة الاسلامية بأنّها طرازا واحدا في التفكير والذّوق وأسلوب المعيشة والتقاليد .

- ومن خصائص هذه الوحدانية أنّها طبعت الحضارة الإسلامية بطابع الوحدة في أمور منها اللغة والتشريع والقيادة ونظرتها إلى الإنسان ككيان متكامل جسدا وروحا، غريزة وعقلا .

- وثمة ما يجب أن نؤكده ونحرص على ذكره أنّ ارتكاز هذه الحضارة على عقيدة التوحيد طهرها من الخرافات في تفسير الكون، وخلص البشر من الخضوع لتأثير التمائم والرقي والطيرة والكهانة والعرافة، وما إلى ذلك، لهذا جاءت الحضارة الإسلامية بأفكار صحيحة مستنيرة تدّل على سمو الفهم، وعمّق النظرة وصحتها في مفهومها لوحدانية الخالق (1)

ثانيا: الاتجاه الانساني

ومن خصائص الحضارة الإسلامية أنّها انسانية الإتّجاه، وقد أعلن القرآن الكريم ذلك بقوله : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَهِ أَتْقَاكُمْ "، فجاءت الحضارة الإسلامية تدعوا إلى تجسيد هذا الاتجاه في حياة الانسان، ويبدوا ذلك فيما يلي :

- أنّها حضارة الناس جميعا فهي حضارة لا تعرف حدودا زمانية أو مكانية أو عرفية، أي أنّها حضارة للإنسان أيا كان أصله وأينما كان موطنه، ولا يحد من أبعادها تعصب، فالكل في النظرة إليه سواء، كما قال عليه الصلاة والسلام : " لا فَضْلَ لِعَرَبِي عَلَى عَجَمِي، وَلا لِعَجَمِي عَلَى عَرَبِي وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إلاّ بِالتَّقْوَى " (2)

(1) المرجع السابق، ص 207
(2) المرجع نفسه، ص 208

- كما يبدوا هذا الاتجاه الانساني في الرحمة والعطف والحرص على نشر الفضيلة فهي حضارة لم تقم على العدوان والتسلط .

- ويبدوا الاتجاه الانساني في الحضارة الاسلامية قيما اشتملت عليه من تشريع بحبل القوى والضعيف والفقير والحاكم والمحكوم سواء أمام الأحكام الشرعية .

- ولم تغفل الحضارة الاسلامية المرأة بل أعطتها الحقوق، ورتبت عليها من الواجبات ما يحقق انسانيتها، وحرصت على أن تكون أمّا ورّبت بيت وعرضا يجب أن يصان لا وسيلة من وسائل اشباع الشهوات وكسب الثروة واستغلالها (1)

5 – عناصر الحضارة الاسلامية :

هناك عناصر للحضارة الاسلامية هي :

أولا : النظرة الى الكون

إنّ الانسان أي انسان بوصفه يحيا في هذا الكون يتساءل تساؤلات فطرية ملحة عن حقيقة الكون ومكانه فيه، وهذه التساؤلات بحدّ ذاتها مشكلات أساسية والاسلام بعقيدته أجاب على هذه التساؤلات وكان الجواب حلا أساسيا مبنيا على العقل، موافقا للفطرة الانسانية .

- فكان هذا الحل موجدا للانسجام والتجانس الدقيق التام بين الفكر والشعور مما جعل القلب مطمئنا مستريحا، ويطلق بالتالي الطاقات، ويفجر المواهب، ويوجد التربة

(1) نظرات في الثقافة الاسلامية، عز الدين الخطيب التميمي ،ص 209

الصالحة للإنتاج والعمالة من المفكرين والمجتهدين ورجال الدّولة، والحشود الهائلة من القادة والأبطال، وهو في التاريخ الاسلامي واقع ومشاهد، والثروة الفكرية والعلمية لأمتنا لا تعد لها ثروة (1)

وعليه فالإيمان بأنّ الانسان لم يخلق عبثا، ولم يترك سدى، وأنّه محاسب ومسؤول عن أعماله وطراز حياته هو الأساس الذي تقوم عليه الحضارة الاسلامية، فهذا المفكر الذّي عاش مشاكل حضارة الغرب فأيقظته، وأدرك منبت الداء ووضع معالم صحيحة للنظرة إلى الكون وأنّ كان لم يصل الى عين النظرة الكونية المطلوبة .

وهو يأسس أسند الأسس من سطحية التفكير التّي عليها عامة الناس عندهم، هذه السطحية التّي تحرمهم من معرفة العلاج الحاسم الشامل لمشكلاتهم، وهي سبب الانحدار إلى حافة الهاوية، ومما قاله: " وحينما يتهيأ لنا الوصول إلى نظرة قوية ثمينة في الكون نجد فيها اعتقادا قويا ثمينا، هنالك فقط يكون في وسعنا ايجاد حضارة جديدة " (2)

ثانيا : تصور الحياة الدنيا

إنّ تصور الحياة الدنيا له الأثر البالغ على أعمال الانسان وهو يتمثل بمقياس الأعمال الذّي يقيس به الانسان أعماله، ومقياس الأعمال حسب التصور الاسلامي للحياة الدّنيا هو الحلال والحرام بغض النظر عن النفعية، فالحلال يعمل به والحرام يترك ولو كان فيه كل المنافع .

(1) ركائز الحضارة العربية الاسلامية مفهوم العلم، الايمان، العمل في الاسلام، عبد الحميد مهدي، دار الشهاب، باتنة ص 20
(2) المرجع نفسه، ص 21

ثالثا : غاية الحياة الدنيا

بتحديد غاية الحياة وتحقيقها تتحقق السعادة، فالكل ينشد السعادة والقليل يدركها والاسلام حدد هذه الغاية للحياة وبها تتحقق السعادة قال تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "

فالغاية التي ترسمها الحضارة الاسلامية هي رضوان الله، ورضوان الله أكبر من الجنّات والمساكن الطيبة في جنّات عدن، فهي أسمى هدف ولا غاية بعدها .

وهذه الغاية واحدة وليست متعددة، فلا تعدّد الاتجاهات، وهي معنوية وليست مادية وهي بسموها غير قابلة للتجاوز الى غيرها، وهي مجنسة مع جميع الأعمال بالتقيد بالحكم الشرعي، وهي وأنّ كانت غاية الغايات إلا أنّها سهلة المنال، يحققها المسلم بالعمل الخالص لوجه الله الكريم، ولو بإزالة الأذى عن الطريق، أو بالكلمة الطيبة التي ينال بها رضوان الله (1)

ثالثا : الأخلاقية في المبادئ والأهداف

ترمي الحضارة الاسلامية إلى ايجاد مجتمع اسلامي تسوده القيم الخلقية والمثل العليا، وايجاد الفرد المسلم المتكامل الشخصية في سلوكه وتصرفاته ايمانا وعملا، ومن هنا فإنّ الحضارة الاسلامية تؤكّد على سيادة القيم الخلقية والمثل العليا في حياة الفرد والمجتمع .

(1) المرجع السابق،ص 23

- وإنّ الذي يتبع القيم الأخلاقية في الحضارة الاسلامية يستطيع أن يؤكد أنّ هذه الاخلاقية في المبادئ والأهداف خصيصة من خصائص الحضارة الاسلامية تمتاز بها وتجعلها تنفرد عن غيرها من حضارات الدنيا قدمها وحديثها (1)

6 – أصول الحضارة العربية الاسلامية :

تعدّ اللغة من الضوابط الأصلية للحضارة أو بقدر ما تكون اللغة أصيلة بقدر ما تتميز بها الحضارة من أصالة، واللغة وأنّ كانت أداة للتخاطب والتعارف في الأمة إلاّ أنّها أيضا الأداة المهمة في الثقافة الفكرية، فعند انتقالها تنقل معها التأثير بثقافة تلك الأمة وعاداتها ومعطياتها ومفاهيمها عن الحياة، وتقوم اللغة إلى ضابط حضاري أصيل عندما تكون للحضارة معطيات فكرية متكاملة، كما هو شأن القرآن الكريم في الحضارة العربية الاسلامية، وقد اختار الله سبحانه للمفاهيم التي أرادها لنّبي البشر لغة العرب فقال الله تعالى : " إِنَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ " فأصبحت العربية لغة الاسلام ولغة المسلمين الأولى، وقد مثلها المسلمون من بر العرب دون أي تعقيد أو شعور بالنقص وأحلوها الصدارة في ألسنتهم حتى كادت العربية تقضي على اللغات المحلية الخاصة كما الايرانية والتركية، ونجد كثيرا من الكلمات العربية تحتل حيزا مهما من تلك اللغات أو الحرف العربي والحرف الايراني والتركي وبقيت العربية لغة الحضارة، وستبقى أصيلة في حفظها وفي أبنائها الى الاستمرار في العطاء الحضاري لأنها كما يسميها ابن خلدون (لسانا حضريا) (2)

---

(1) المرجع السابق، ص 209
(2) الحضارة العربية الاسلامية في النظم والعلوم والفنون، اسحاق رياح، سليمان أبو سليم، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ط 2 ، ص 18

الفصل الأول

العصر الأندلسي

المبحث الأول: العصر السياسي

المبحث الثاني: العصر الاجتماعي

المبحث الثالث: العصر الاقتصادي

المبحث الرابع: عصر العلوم

الجانب السياسي :

كانت الأندلس قبل الفتح الإسلامي في ضلّ دولة القوط امتدت زهاء قرنين من الزّمان، وكان المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت يعاني من صنوف الشقاء والبؤس، وقد مزّقته عصور طويلة من الظلم و الاستبداد و الإرهاق والإيثار، وكان على عرش إسبانيا في تلك المدة الملك وتيزا و تسمية الرواية العربية "غيطشة" وقد خلعه رودريك وهو عند العرب "لذريق"(1).

ضجت بلاد افريقية الشمالية بالفاتحين و لم يكن بينهم و بين اسبانيا إلاّ قفرة فوق بحر الزقاق تحفز لها موسى بن نصير، واستأذن لها الوليد ،فسيّر مولاه طارق بن زياد على رأس الجيش أكثره من برابرة المغرب، فاندفع طارق كالعاصفة وتغلب على لذريق في معركة وادي بكّة سنة 811م، وراح يفتتح بلدا أثر بلد، وقد لحق به موسى بن نصير إلى أن دوّخ الملك وأخضع العباد ورفع لواء بني أمية على كلّ جيل وفوق كلّ واد(2).

بدأ العرب عملية الفتح عام92ه واستكمل فتحها عام 95ه وبدأ العصر الإسلامي الأوّل فيها و الذّي يعرف باسم :عصر الولاة(3).

---

(1) ينظر في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية،دار الفكر المعاصر بيروت،ط1، ص26.
(2) الموجز في الأدب العربي وتاريخه الأدب في الأندلس و المغرب و أدب الإنحطاط، حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت 1991/ط2 ، الجزء 4، المجلد 3، ص 13.
(3) تاريخ الفكر العربي في الأندلس، أنخل ثالث، بالنثيا نقله عن الإسبانية حسن مؤنس 2006، الناشر :مكتبة الثقافة الدينية ص30

1- عصر الولاة:

وتمتد هذه الفترة من الفتح إلى مجيء عبد ابن معاوية وامتلاكه الحكم في قرطبة ،وهي مدّة قصيرة لكنّها حافلة بالأحداث الإيجابية و السلبية بالقياس إلى الوجود العربي الإسلامي في الأندلس، فقد وصلت الطلائع العربية الإسلامية إلى مناطق متوغلة في أروبا و لكن سنوات معدودة صعبة على الصعيد قد أسهمت في انحصار الوجود العربي الإسلامي هناك في المناطق الشمالية وأدّت إلى تقديم فرصة ذهبية للعدّو والمتربص شمالا و ضاعت بين يديهم بلادهم في ستمانينا ولانجدوك ، ثم سقطت أربونة المنيحة بعد أن ثبتت نحو خمس سنوات لحصار شديد و أسهم حصار البربر في المناطق الأندلسية الشّمالية في اكتساب العدّو الشّمالي الأراضي الغالبة دون مجهود يذكر، و خسر الإسلام نحو ربع أيبريا بسوء التقدير و بالخلاف بين العناصر التّي كوّنت الجماعة الإسلامية في الأندلس .ورث عبد الرحمن الدّاخل هذه الظروف الجديدة من صراع بين الشّمال المتحالف مع أروبا و البابوية و بين الجنوب الأندلسي المتحالف مع بلاد المغرب، و كان ولاة الأندلس في هذه المدّة يعينون من دمشق مباشرة، أو من والى افريقيا ، أو والي مصر ، و في مدّة الولاة ظهرت شخصيات مهمة في التاريخ الأندلسي وفي تأصيل الوجود الإسلامي و فيهم: عبد الرحمن الفاقعي الذّي فاجأته قوات شارل بين مدينتي توروبواتية، وكان عدد العرب قليل جدّا فاستشهد معظم جنده و دعيت هذه المعركة عند الإفرنج باسم "بواتية" وعند المسلمين باسم "بلاط الشهداء" لكثرة ما قتل منهم، وكان ذلك في شوال144ه أواخر732م(1).

(1)-في الأدب الأندلسي،محمد رضوان الداية ،ص28-29

وقد تميز هذا العصر بعدم الإستقرار السياسي بسبب المنازعات القبلية فيه، والذي أدّى إلى تعاقب أربعة عشرة واليا على الحكم ، فأدّى هذا الأمر إلى عدم استقرار المجتمع الأندلسي في هذا العصر مع الأخذ بعين الإعتبار أنّ أكثر الداخلين إلى الأندلس في هذه الفترة كانوا حكاما واهتموا بالأمور السياسية و العسكرية بالدرجة الأولى(1).

2-عصر الإمارة الأموية :138ه-316ه

ويبدأ هذا العصر مع استلاء عبد الرحمن الدّاخل على مقاليد الأمورسنة138ه و يستمر سنة 316ه، وبعد فترة وجيزة من سقوط الإمارة الأموية في المشرق نجح الأمير الأموي في الفرار من المغرب، ودخل الأندلس فالتف حوله أنصار بني أمير ونجح في الإستلاء على قرطبة، وبقي يؤّكد أركان ملكه في أكثر من ثلاثين سنة، ومن ثمّ لقب بصقر قريش فكانت له الكفاءة السياسية والحربية كما اعتنى بالجوانب الحربية، فقد اهتم بتجميل قرطبة وبنى في شمالها الغربي قصرا سماه الرصافة ، وقد توالى على عرش قرطبة عدد من الأمراء من نسل الدّاخل أوّلهم ابنه هشام رضا (2).

ومن أعماله المهمة هزيمته لبرمودة الأوّل ملك جيليقية حيث هاجم الأندلس ، وفي أيّامه انتشر المذهب المالكي في الأندلس على يدي الفقيه الأندلسي الشهير يحي بن يحي الليثي .(3)

(1)-تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: د. خليل ابراهيم السامراني، د.عبد الواحد دنون طه. د. ناطق صالح مطلوب ،حيرزان يونيو 2004 الافرنجي المداد الاسلامي،ط1 ص313

(2)-ينظر تاريخ الادب الاندلسي،محمد زكريا العتاني ،دار المعرفة الجامعية دط،ص18-19.

(3)-في الأدب الأندلسي،محمد رضوان الداية ،ص31

ثم جاء بعده الحكم الرّيفي الدّي ورث مملكة مستقلة إلى حدّ ما ولم يسلك مسلك أبيه من تقريب الفقهاء الدّي كان نفوذهم على العامة عظيما ،وأحاط نفسه بحرص من الصقالبة وكانوا شديدي القسوة ومن هنا بدأت حملة تذمر من أوساط العامة لم تلبث أنّ تحوّلت إلى ثورة عارمة .(1)

ثم تلاه عبد الرحمان الثاني أو الأوسط سنة 207ه وفي عهده بلغ الترف في قرطبة درجة عالية من الرقي وأصبح تنافس بغداد في هذا المضمار خاصة بعدما نقل إليها زرياب الموسيقى التّي لاتزال أثارها مماثلة في أهل المغرب حتّى اليوم .(2)

- وفي عصر ابنه محمد بن عبد الرحمن(238ه – 273 ه) قضى على حركة الإستخفاف، ونجمت حركة عمر بن فحصون، وكان رجلا يتظاهر بالإسلام و لم يطل عهد الأمير المنذر أكثر من سنتي(273 ه- 275 ه) ليجيء الأمير عبد الله

(275ه-300ه) وقد بلغت الأندلس درجة ضعفها وكانت تنقسم إلى أجزاء متناحرة، وفي هذه المدّة ضهر بنو حجاج في إشبيلية و آل تجيب بسرقسطة و قلعة أيوب و بنو ذو النّون و نجمت فتنت بين العرب و المؤيدين في مناطق مختلفة من جنوب الأندلس، و خلف الأمير عبد الله حفيده عبد الرحمن بنو محمد 350ه وقد رعاه رعاية خاصة و أعده لتحمل أعباء الحكم و لكنه في نفس الوقت أورثه دولة مضطربة يتنازعها الطامعون للاستقلال(3).

(1) حضارة عربية اسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية 1999، ط1، الجزء1، ص74

(2) ينظر تاريخ الأدب الأندلس، محمد زكريا عناني ص19.

(3)-في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية ص31

ثم خلافة الحكم المستنصر بالله 316ه بعدما بايعوه الأندلسيون و هذا لضرورة سياسية و مصلحة المسلمين أمّا نظامه فهو نظام ملكي يقوم على أساس التوريث أوّلا ثم الدّين ثانيا وسياسته الخارجية تتلخص في أربعة نقاط رئيسية وهي:

1- الخطر الفاطمي في المغرب جنوبا.

2- خطر الدويلات المسحية الإسبانية شمالا.

3- مقاومة الخطر النورماندي.

4- علاقته الدّبلوماسية مع ملوك أروبا(1).

كما تعد خلافته تتويجا لعصر أبيه عبد الرحمن الناصر، فقد دون الحكم دولة قوية غنية وواصل السياسة التي رسمها أبوه، فاهتم بتأمين حدود البلاد وعين عددا من العسكريين قوادا على الثغور(2).

وصعد النّجم محمد بن أبي عامر الذّي كان وزيرا للحاجب جعفر المصحفي رئيس الوزراء، وما لبث أن استبد بالحكم وجعل الخليفة مجرد رمز لا قوة له ومن هنا تبدأ مدّة سيطرة بن أبي عامر الذّي عرف بالحاجب المنصور ليخلفه ابنه في الحجابة عبد الملك الملقب" بالمظفر" وخلفه أخوه عبد الرّحمن الملقب ب:"شنجول"، و لم يكن مثل أبيه وأخيه قدرة و حزما فاندفع هشام مؤّيد و جعله وليا للعهد، و دخلت الأندلس عصر

(1)-ينظر في التاريخ العباسي والأندلسي، أحمد مختار العبادي، دار النشر النهضة العربية للطباعة 1982، د ط، ص 385 - 386

(2) ينظر في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الجيوسي)ص89

الإضطراب و الفتنة، فقد أبى الأمويون توليه شنجول و نصبوا خليفة غيره ثم تدّخل البربر و عينوا خليفة، و كان آخر الخلفاء بنوا أمية هشام المعتد و بموته انتهت الدولة الأموية، وكان انقضاء بني أمية بائسا بالعد التنازلي للضعف والتخاذل والإنقراض وإنذار بخطورة تضييع الوحدة و بمساوئ الإنقسام و التشرد م(1).

3 - عصر الطوائف: 466هـ-484هـ

لما انهار عرش الأمويين في الأندلس حلّ محلهم ملوك الطوائف (2).

ويعدّ هذا العصر من أكثر العصور التاريخ الأندلسي تشابكا وتعقيدا واضطرابا ففيه انفرط عقد البلاد وتوزّعت نحو ستين دويلة تتفاوت فيما بينها بين الصغر والكبر و القوّة والضعف مع أنّ هذا العصر لا يتجاوز ستين سنة فإن تتبع الأسرة الحاكمة التّي ملكت الإمارات أمر عسير لأنّ الحروب المتّصلة بينها أدّت إلى تحولات مستمرة في مسارها التاريخي (3).

- وفي هذا العصر تفرقت الكلمة وأصبح لكلّ مدينة أو إقليم حاكمه المستبد بالأمر فيه ومن أبرز هؤلاء الملوك:

- بنو عباد في إشبيلية : ودام ملكهم نحو سبعين سنة .

---

(1) الأدب الأندلسي محمد رضوان الداية ص33

(2) الموجز في الأدب العربي وتاريخه في الأندلس والمغرب وأدب الإنحطاط لحنا الفاخوري ص13.

(3) ينظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس سلمى الخضراء الجيوسي ص99

- بنو جهور وكانت عاصمتهم قرطبة وحكموا قرابة أربعين سنة إلى أن استولى بنو عباد على دولتهم .

-بنو حماد وعاصمتهم مالقة.

- بنو الأفطس وحضارتهم بطليوس وحكموا سبعين سنة .

- بنو ذي النون وعاصمتهم طليطلة وحكموا خمسين سنة .

- بنو عامر وحضارتهم بلنسية وحكموا نصف قرن .

- بنو هود وحضارتهم سقطة وحكموا سبعين سنة (1).

أصيبت الأندلس في عصر الطوائف بثلاث هزات عنيفة وتركة أثرا بعيدا من القلق والخوف والتوجس من المستقبل أوّلها استلاء النورمانيين "الأردمانيين " على بربشتر فقد حاصر الأردمانيين بربشتر وجدوا في قتالها وغدروا بهم وقتلوهم جميعا واستولوا على أملاكهم، أمّا الهزة الثّانية وأبلغها خطرا هي استلاء الأنفونسو على طليطلة ،حاصر الأنفونس طليطلة ومعه ابن ذي النّون فلم يقبل الطليطليون هذا الحصار فاشتكوا إلى ابن ذي النّون فلم يستمع إليهم فكثر القتل والجلاء والتخريب، وطفق سكانها يستصرخون ملوك الطوائف فلم يجدوا معينا فسقطت طليطلة، وقد كان لسقوطها أثر عظيم في نفوس أهل المدن الأندلسية الأخرى، وثالث هذه النكبات ما جرى ببلنسية وكان بطل هذه الحادثة هو السيد القنبيطور وتتلخص أحداثها في أنّ أنفونس لمّا أخذ طليطلة وعد بني ذي النّون أن يعطيه بلنسية فبقي ينتظر حتّى مات صاحب بلنسية ودخلها(2).

(1) تاريخ الأدب الأندلسي،محمد زكريا عناني،ص20-21.

(2) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة عصر الطوائف والمرابطين،إحسان عباس،دار الشروق للنشر والتوزيع 2007،ط1،ص من 16 إلى 20

فقد كان في هذا العصر تمزّق سياسي واضطراب وتفكك وعهد فتن وحروب.

4 - عصر المرابطين :483هـ-541

عادت إلى الأندلس وحدتها السياسية بعد انهيار دوّل الطوائف وانهزامها أمام الزحف المرابطي كما عاد إليها نوع من الاستقرار والهدوء (1).

ولدولة المرابطين تاريخ طويل بالغ التعقيد والغموض، إذ يبدأ في تلك المناطق الإفريقية المجهولة الشّاسعة في الشّمال الغربي من افريقيا (موريتانيا) ووسط قبائل البربر المعروفين بصنهاجة ومن أهم فروعها لمثونة ومسوفة و جدالة وكان هؤلاء يتلثمون وبذلك اختلفوا عن الصنهاجيين الشّماليين (2).

وسموا بالملثّمين لأنّ أجدادهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحرّ ومنهم من قال أنّهم آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا قلة فاضطروا للهروب لمّا غلبهم أهل الكفر فتلثّموا بقصد التمويه(3).

- وقد كان الحاكم الأوّل لدولة المرابطين يوسف بن تاشفين الذّي يتّمتع بشخصية قوية فذة تتمتع بمواهب خاصة، وفي أيّامه نعمت البلاد بالرخاء والأمن ثم تولى بعده ابنه علي بن يوسف ولكن بالرغم من اتصافه بالعدل والتدّين والفضل لم يكن مثل أبيه في السياسة والقوّة بل انجر وراء الفقهاء والتزم بأقوالهم و الأخذ بآرائهم وهذا ما دفعه لإحراق كتاب احياء علوم الدّين للغزالي كما أهمل محاسبة الولاة وملاحقتهم في تلك

(1) الشّعر في عصر المرابطين و الموحدين، محمد مجيد سعيد ، الجامعات العراقية،ط3 ،ص22
(2) تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكريا عناني، ص21
(3) ينظر تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي على محمد الطلابي، دار المعرفة، بيروت، د ط، ص 16

الثورة الشعبية التّي قامة بها قرطبة سنة 514ه ضدّ ولاّة المرابطين وجندهم (1).

- كان علي قصير النظر فحاول أخذ سرقسطة عن بني هود، ولكن سرعان ما أخذها اشتبك المرابطون مع الفونسو الأول للاستلاء على بلدهم باندفاع إلى الجنوب، ورده المرابطون على أعقابه، وفي سنة 518ه وجّه علي بن يوسف جيشا بقيادة يحي بن غانية والي بلنسية ومرسيه إلى افراغه شرقي سرقسطة، ولقي جيشا لأنفونس ملك أراجون شر تمزيق وتوفي علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين سنة 538ه وخلفه ابنه تاشفين ولكنّه كان ضعيفا مما أذن بنهاية دولة المرابطين (2).

5 - عصر الموحدين: 539ه-643ه

لدولة الموحدين بداية غامضة شيئا ما ولكن خطوطها العامة معروفة، فبدايتها الأساسية تمثلت في تسلسل كيان المرابطين من وهن و فساد، وما كان يعج به المغرب و الأندلس من اضطرابات وفتن و تيارات فكرية و اجتماعية و عسكرية و روحية متصارعة و متلاطمة (3).

- تنسب حركة الموحدين مغار بن تومرت الهرغي من قبيلة مصمودة من أهل السوس ويسميه أتباعه أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، و يلقب هو بالمهدي بن تومرت وكان قد طاف بالأندلس طلبا للعلم، و لقي العلماء و بعض تلامذة الغزالي،

(1) الشعر في عصر المرابطين و الموحدين، محمد مجيد سعيد ص23
(2) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط3 ص40
(3) تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكريا عناني ص24

وعاد ليعض الناس و يجمعهم حوله و يدعوا إلى إسقاط دولة المرابطين (1).

- و كانت أوّل معركة بينه و بين المرابطين هي معركة البحيرة سنة 517ه لم يحقق فيها نصرا، ولكنّه لم يفقد أمله في تحقيقه ، أمّا الفكرة الدّينية فقد قامت على أسس النظرية الدّينية، و نظرية المهدي المنتظر و أساس الدّولة الموحدية روحي و سياسي و دستورها الذّي صاغ مبادئها و أسسها ، وتوفي ابن تومرت قبل أن يحقق أهدافه فتولى أمر الثورة بعده تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي :542ه-588ه، وخاض معارك عديدة ضدّ المرابطين انتصر في معظمها حتّى تمكن أخيرا من دخول مراكش فاتحا سنة542ه (2).

- كانت الأندلس تعيش حالة تمزق في ثلاثة اتجاهات ، اتجاه يتمسك بالمرابطين و يمثله يحي بن غانية القائد العام لقوات المرابطين بالأندلس و أخوه محمد ،يؤازرهما بعض الأندلسيين المنتفعين بالعهد القديم، و الإتجاه الثاني يدعوا إلى تحرير الأندلس كلها من حكم البرابرة و يسعى إلى إعادة وحدتها الوطنية التّي كانت عليها أيّام الخلافة الأموية ، و قد تزعم هذا المعيار سعيد بن مردنيش في شرقي الأندلس ، أمّا الاتجاه الثالث فهو الذّي دعا إلى اتجاه الموحدين لتخليص البلاد من الملثمين من جهة ومن خطر النصار ، ومن الجهة الثانية كان في البداية ضعيفا لا يوجد من يتبناه أو يتحمس لنصرته ، ولكن ظروف كثيرة ألمت بالأندلس ، و ساعدت على نموه (3).

(1) في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية ص 37
(2) الشعر في عصر المرابطين و الموحدين، محمد مجيد السعيد،ص 33
(3) المرجع نفسه، ص33

- من أبرز الخلفاء الموحدين: حفيد عبد المؤمن و هو الملقب بالمنصور الذّي جاء إلى الأندلس سنة 591ه و هزم ألفونسو الثاني و الحشود الصليبية التّي جاءت من أروبا معركة الأرك التّي تذكر بواقعه الزلاقة.

هزم الموحدون في الأندلس سنة 602ه و خليفتهم الملقب بالناصر و هزموا أيّام ابنه الملقب بالمنتصر سنة610 ه في معركة أبي دانس و كانت هذه الهزائم ايذانا بضعف الموحدين ،و شهد عصر الموحدين في الأندلس القوّة و التّمكن و انتصروا في هذه المرة على جيوش العدّو في أكثر من موقعة مثل: أبي يوسف يعقوب الملقب بالمنصور سنة 517ه و التّي استعاد فيها عصر أبي دانس و مدينة شلب و لكنّ ابنه أبا عبد الله محمد الملقب بالناصر خسر معركة فاصلة سنة 603ه عرفت باسم "العقاب" وقد دانت موقعة العقاب نذيرا باضطراب أحوال النّاس و ظهور فترة مشابهة لعصر الطوائف في التشردم و التشتت (1).

6 - دولة بنى الأحمر: 636ه-897ه

وتسمى أيضا مملكة غرناطة و الدّولة النصيرية و الأندلس الصغرى و تمثل آخر المعاقل في اسبانيا (2).

- ما كاد الموحدون يفارقون الأندلس حتّى بسط محمد بن هود سلطانه عليها ،ولكنّه عجز عن حمايتها، فقد اتفق محمد بن نصير عميد قبيلة بنى الأحمر العربية مع الإسبانيين على قتال ابن هود فهب فرنجة يحتلون المدائن حتّى سقطت قرطبة في أيديهم سنة 633ه بعد حصار دام ستة أشهر، و بعد مقتل ابن هود لم يعد بحوزة

(1)في الأدب الأندلسي محمد رضوان الداية ص38
(2) تاريخ الأدب الأندلسي محمد زكريا عناني ص28

المسلمين غير اقطاعة الأندلس و حضارتها غرناطة يتولاها ابن الأحمر ، و قد دامت أكثر من مائتي و خمسين، وملوك الإسبان غافلون عنها يقتتلون فيما بينهم (1).

و ضل محمد بن نصير ينعم لسنوات من الهدوء أعاد فيها ترتيب أوراقه ،ويضمن السلام لما ظل تحت حكمه من البلاد ،وقد عاصر محمد الأوّل من ملوك اسبانيا المسيحية ملكي شقتالة فرناندوا الثالث ثم ابنه ألفونسو العاشر الملقب بالحكم فقد كان سلوكهم السّياسي مزيجا من اللجوء للقوة و العمل الدبلوماسي الذّي سمح لهم بإقامة ثورات دقيقة بين القوى المحيطة بهم و هذا هو العامل الأساس في إطالة عمر المملكة، وبعد وفاة محمد الأوّل خلفه ابنه محمد الثّاني الملقب "بالفقيه" و هو الذّي مهد الدولة و أقام رسوخها و استطاع القضاء على ما وقع في البلاد من ثورات ثم عرش غرناطة بعد ذلك محمد الثالث المعروف بالمخلوع ثم يليه محمد الرّابع ثم خلفه على عرش غرناطة أخوه يوسف الأوّل الذّي يستمر في الهدنة مع شقتالة غير أنّ هذه الهدنة لم تدوم فنشبت معركة بحرية عنيفة معروفة باسم "واقعة طريف" سنة 841ه و تنتهي بهزيمة أسطولي غرناطة و المغرب و تعد هذه الهزيمة الثانية بعد موقعة العقاب، فأعزت هذه الانتصارات الملك الشقتالي، فعاد إلى حصار جبل طارق سنة 850 ه

(1) العرب في الأندلس لجورج غريب،دار الثقافة بيروت د ط ص 34

ومن هذا يتضح أنّ أيّام المملكة باتت معدودة بعد خسارتها طريف و الجزيرة الخضراء (1).

- و بعد موت الملك الشقتالي تولى الحكم محمد الخامس بن يوسف الأول و يعتبر هذا السلطان الملقب بالغني بالله أعظم ملوك غرناطة وكان له أطول عهد فيها ،ويفضل سياسته الحكيمة التي اتبعها تمتعت غرناطة بسلام دام طويلا ويعد عصره آخر عصور ازدهار مملكة غرناطة و بعد موته حكم غرناطة ثلاثة من السلاطين هم: يوسف الثاني و محمد السابع و يوسف الثالث و لكنّهم كانوا ضعفاء منشغلين بحروبهم الداخلية، فضل وضع غرناطة مستقلا إلى حدّ ما خلال النصف الأوّل من القرن الخامس عشر، و لكن ما يزيد في سوء أحوالها نشوب حرب أهلية بين أمراء البيت المالك الغرناطي(2).

- فقد كانت الأندلس في ظلّ دولة بني الأحمر الأندلسي مصغرة من الأندلس العظمى في سماتها و ملامحها ووجودها.

(1) الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس سلمى الخضراء الجيوسي ص من 130 إلى 132
(2)-المرجع نفسه ص133

الجانب الاجتماعي:

لقد كان التكوين البشري لسكان إبيريا مزيجا معقدا من الأجناس ، إذ نزلها قديما قبائل من بلاد الغال في الشمال ، ثم عناصر فينيقية و يونانية و قرطاجينية و رومانية و جرمانية و نزلها الكثيرون من اليهود(1).

- ويمكننا تقسيم العناصر التّي يتكوّن منها المجتمع الأندلس إلى:

1- العرب: وهم الفاتحون للبلاد ،رافعين راية الجهاد و كانوا يشعرون بأنهم أفضل العناصر الموجودة و أعلى شأنا، وأرفع مكانة و منزلة لتغلبهم على الاسبان والبربر.

2- البربر: وهم يشبهون العرب في معظم الصفات من بداوة وشرارة وشجاعة وعصبية متطرفة.

3- الإسبان: وهم مسيحيون يدينون بالمذهب الكاثوليكي متعصبون لدينهم أشدّ التعصب وكانت نضرتهم للعرب والبربر هي نضرة صاحب الأرض إلى الدخيل المغتصب.

4- الصقالبة: وهم من أصل أجنبي أتو من البلاد من شواطئ البحر الأسود والمقاطعات الإسبانية الشّمالية وسرعان ما تعلموا اللغة العربية واعتنقوا الإسلام ، تحرر فريق منهم من العبودية واحتل مكانا بارزا في المجتمع وتهذبة طباعهم بالاحتكاك بالحضارة الأندلسية.

---

(1) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ص 46

5- المسلمون والمولدون: من ولد نتيجة للتزاوج بين العرب والمسلمين من جهة والاسبانيات والصقليات من جهة أخرى ، وقد نشأ من هذا التزاوج جيل جديد من المولدين اكتسبوا البعض خصائص العروبة ، ومن هنا كان تراثهم الفكري تراثا عربيا خالصا أخذ مكانته بين التراث العربي على مر العصور .

6- اليهود: كثر عددهم في عصر الدولة الأموية ، وقد رحبوا بفتح العرب لإسبانيا(1).

- بقيت مختلف العناصر العرقية والدّينية التّي يتكوم منها المجتمع على شكل فسيفساء مكونة من مجموعة متجاورة أكثر مما هي منصهرة لمدة طويلة في خليط اجتماعي معقد من جراء التناقضات التي كانت تظهر بقوة وخاصة في زمن الاضطرابات أو الفتنة في عهد الإمارة ، وقد ساعد على رجوع السلم السّياسي والصلح المدني الذّي أصاب الطبقة الشعبية وتزايد عدد المعتنقين للإسلام ، والشعور المتزايد بضرورة الوحدة في الجماعة الأندلسية (2).

- فقد كانت الفئة الأرقى تدعى فئة القيان أو الجواري والمحضيات والراقصات والمغنيات من متطلبات الأرستقراطي الشّرقي والأندلس ، وكان العبيد معدا للخدمة في البيوت الغنية ، ودورهم في المنزل يرتبط بمستوى الهيئة الاجتماعية والسياسية، فقد كانت آلاف الخدم من ذكر وأنثى في قصر مدينة الزهراء منهم من تبوأ مناصب رفيعة عسكرية كانت أم مدينة ، وبعد أن حلّ النّظام الممزق لملوك الطوائف حاول البعض

(1) الأدب العربي في الأندلس : تطوره ، موضوعاته وأشهر أعلامه علي محمد سلامة ، دار الموسوعات العربية ط 1 1989 ص 35 – 36

(2) ينظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الحبوسي، ج2 ص 973 – 974

أن يظهره على أنّه عهد نشوء الإقطاعية ، ولكنّ على العكس فالمجتمع الأندلسي والدّولة الأندلسية في هذا العهد قد أعطت العناصر العسكرية المهمات التنظيمية لأنّها بقيت إحدى مؤسسات التنظيم في الدّولة ، ولكنّها لم تصل أبدا إلى حدّ تدمير الدولة فلم تحصل على أيّة عملية استلاء على القصور والقلاع وتحويلها إلى أملاك الوجهاء والأعيان .

- فقد كانت كل فئة حاكمة على رأس كل دولة من دول الطوائف الأرستقراطية يرجع أصلها العرقي إلى البربر كمماليك الزيريين في غرناطة أو العرب كإشبيليا وسرقسطة مثلا حيث نجح بعض الرؤساء من العبيد في الإستلاء على الحكم التي كانت تتشكل حول الأمراء أرستقراطيات حاكمة ووزراء وكتاب وأدباء ورؤساء الإدارة والجيش ، فكانوا يؤلفون المستوى الأعلى أو الخاصة ، فهم الفئة المستفيدة من نظام الدولة (1) .

- الطبقة الشعبية: وهي عامة الناس والمؤلفة من الرعية

- طبقة العلماء والفقهاء: وهي من بين الفئات الاجتماعية المحضوضة فقد كانوا عنصرا فعالا من عناصر الشعب (2).

- الطبقة الأرستقراطية : فقد كان معظم أفرادها من عائلات كبيرة يتمتعون بوظائف عالية في خدمة الدولة فاستطاعوا تكوين ثروات ضخمة من عقارات وأراضي .

(1)، المرجع السابق، ص 975

(2) المرجع نفسه، ص 77. 88

- أسرة بني زهر تعد من أشهر الدول الأندلسية التي سكنت إشبيليا في عهد دولة بني عباد أي من بداية عصر دويلات الطوائف وتمتعوا بنفوذ كبير في إشبيليا فخاف سكانها من هذه الأسرة فاضطروهم إلى الخروج منها ومصادرة أملاكهم بها (1).

- طبقة المماليك: وهي طبقة جديدة ظهرت في المجتمع الأندلسي ،فكانوا يقومون في أول أمرهم بوظيفة الجندي (2).

وقد كانوا يتمتعون بمركز اقتصادي واجتماعي مرموق ومستوى معيشي مرتفع ، فكانوا يصرفون رواتب عينية تعرف بالبراءات وهي عبارة عن كميات من الطعام أي الحبوب (3).

- كان يوسف بن تاشفين مثال الرجل المتقشف الحريص على مصلحة المسلمين المدافع عن حرمتهم وأراضيهم فكان يمقت الإسراف والبذخ فكثرت في أيامه الأموال، وشعرت البلاد بشيء من الاطمئنان ورفعت رسوم المعونات والخراج ، فلم يأخذ من الشعب إلا ما أوجبته الشريعة من زكاة وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين .

- الطابع العام للجو السياسي المحرك لشؤون الرعية ديني يقوم على الجهاد ونشر الدعوة الإسلامية وبسببه تمت طبقة معينة مستغلة وأثرت وأغتنت على حساب الجماهير الفقيرة (4).

---

(1) دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة،كمال السيد أبو مصطفى،مركز الإسكندرية للكتاب،د ط،ص 9 الى 11
(2) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،مصطفى الشكعة،دار العلم للملايين،ط 12،ص 22
(3) دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة،كمال السيد أبو مصطفى،ص 12
(4) الشعر في عصر المرابطين والموحدين،محمد مجيد سعيد،ص 49

وقد منيت الأندلس بمجموعة من الولاة الذين تولوا أمورها من قبل الدولة اللمثونية فقد استغل بعض هؤلاء مراكز الحكم فأسرفوا في الظلم والاستبداد وإغراق الشعب الأندلسي بشتى وسائل التسلط من أجل إشباع رغباتهم في إظهار الأبهة والمدنية على مجالسهم بتزيينها وإعمارها بكل ما يضفي عليها سمته الرقيقة من النعومة والترف الحضاري مما خلف شعورا بالحقد والكراهية لدى الأندلسيين اتجاههم بقول بن عبدون "إن الرئيس العادل السامي إلى الخير المرتبط بالناموس أصبح يلتمس فلا يوجد "

وتزداد البلاد قتامة بافتقارها إلى الحاكم العادل المخلص ، وإن كانت أموال الدولة كثرت أيام المرابطين وعمت البلاد حالة من الرخاء والبسط فإن هذا لا يشمل جميع الأوقات وكل سنوات حكمهم (1).

ومن جهة أخرى ازدهرت التجارة في بلاد الملثمين وهذا أدى إلى طبقة من الأثرياء وهي طبقة التجار .

- طبقة التجار: تجمعت لديهم أموال عظيمة بسبب نشاطهم التجاري كما احتكرت هذه الطبقة على الأراضي الزراعية في الواحات وكذلك مناجم الملح وقطعان الماشية أي مصادر الثروة.

- طبقة الفقراء: فتعرضت للمجاعة في سنوات الجفاف وكانت منازلهم من أغصان الأشجار مغطاة بالجلود كالأكواخ.

(1) المرجع السابق،ص 51

وقد منيت الأندلس بمجموعة من الولاة الذين تولوا أمورها من قبل الدولة اللمثونية فقد استغل بعض هؤلاء مراكز الحكم فأسرفوا في الظلم والاستبداد وإغراق الشعب الأندلسي بشتى وسائل التسلط من أجل إشباع رغباتهم في إظهار الأبهة والمدنية على مجالسهم بتزيينها وإعمارها بكل ما يضفي عليها سمته الرقيقة من النعومة والترف الحضاري مما خلف شعورا بالحقد والكراهية لدى الأندلسيين اتجاههم بقول بن عبدون "إن الرئيس العادل السامي إلى الخير المرتبط بالناموس أصبح يلتمس فلا يوجد "

وتزداد البلاد قتامة بافتقارها إلى الحاكم العادل المخلص ، وإن كانت أموال الدولة كثرت أيام المرابطين وعمت البلاد حالة من الرخاء والبسط فإن هذا لا يشمل جميع الأوقات وكل سنوات حكمهم (1).

ومن جهة أخرى ازدهرت التجارة في بلاد الملثمين وهذا أدى إلى طبقة من الأثرياء وهي طبقة التجار .

- طبقة التجار: تجمعت لديهم أموال عظيمة بسبب نشاطهم التجاري كما احتكرت هذه الطبقة على الأراضي الزراعية في الواحات وكذلك مناجم الملح وقطعان الماشية أي مصادر الثروة.

- طبقة الفقراء: فتعرضت للمجاعة في سنوات الجفاف وكانت منازلهم من أغصان الأشجار مغطاة بالجلود كالأكواخ.

(1) المرجع السابق، ص 51

- انتشرت عادات حديثة في مجتمع الملثم تتنافى مع تعاليم الإسلام ومن هذه العادات السيئة الزواج بأكثر من أربع حرائر وعادة الزنى ومصادقة الرجل للمرأة المتزوجة بعلم زوجها وحضوره فغابت العقيدة الإسلامية الصحيحة عن هذا المجتمع بعدما كان أجداد هذا المجتمع قد آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا (1).

- أما المرأة فقد حظيت بقدر كبير من الحرية نتيجة الإمتزاج الذي تم بين عناصر تكوين المجتمع الأندلسي ، فاحتلت المكانة المرموقة ، وحظيت بالحرية التي اكتسبتها حتى صارت مثل أختها المشرقية (2).

ومن بين الملامح الاجتماعية في الأندلس في عصورها المختل زواج المتعة لاسيما في عصر القافي أبي الوليد بن رشد الذي أجاب بعض المسائل الخاصة بهذا النكاح وأفتى بإقامة الحد على مرتكبيه ، والتعامل في الأسواق من حيث المكاييل والموازين والأرطال والأواني والغش والتدليس وكذلك الملاهي في المجتمع .

- أما فيما يخص الخدمات الاجتماعية فوجدت أحباس لخدمة المجتمع ، فهناك على سبيل المثال أحباس المرضى في مدينة قرطبة ، حيث يحق لكل مريض الاستفادة منها كما وجدت حالات الزندقة في الأندلس في مختلف العصور منها حالة في عصر المستنصر عن رجل يدعى أبا الخير ، شهد عليه أربعة وأربعون شاهد بأنواع الكفر وصنوف من الإلحاد ، فأفتى مندر بن سعيد وصاحب الصلاة أحمد بن مظرف

(1) تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي، علي محمد الصلابي، ص 18 – 19
(2) الأدب العربي في الأندلس تطوره ، موضوعاته وأشهر أعلامه، علي محمد سلامة، ص 37 – 38

وغيرهما بقتله بأمر الحكم بصلبه (1).

- كما كان الأندلسي يعتمد على نفسه ولا يطيق أن يكون عالة على الناس لأن ذلك في ميزان مجتمعهم من الأمور القبيحة ومن هنا اختفت ظاهرة التسول في الأندلس فالشعب الأندلسي شديد النظافة لأن طبيعة البيئة تحبب ذلك، هذا فضلا عن الإسلام نفسه الذي يحث على النظافة يقول المقري :"وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون غير ذلك مما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه ، فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبوا عن العين "

وفي أهل الأندلس حسن التدبير والبعد عن التبذير والذي لا يعرفهم يقول عنهم بخلاء ولكنهم أهل العون والمروءة (2).

- إن البيئة الاجتماعية في الأندلس كونها عاملان:

1- اختلاط العرب بالشعوب الاخرى في الأندلس وسواها.

2- الرغبة في محاكاة الشرق : فعندما احتك العرب بالأندلسيين تأثروا بعاداتهم واخلاقهم وطرق عيشهم وظهر هذا بنوع خاص في لباسهم ومشاركة نسائهم لرجالهم في العلوم والفنون وهكذا كانت العرب الاجتماعية في الاندلس مزيجا من حياة الاندلسيين وحياة المشرقيين ، وقد شاع فيها الترف واللهو والغناء شيوعا عظيما (3).

(1) حضارة الأندلس في الزمان والمكان، أعمال الندوة الدولية، ص 133 – 135 – 136
(2) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، ص 73 – 82
(3) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، دار الأصالة الجزائر 1987 م، ط 12، ص 796

الجانب الاقتصادي:

بالرغم من الظروف التي مرت بها الأندلس عبر عصورها إلا أنها حظيت بشهرة اقتصادية في ميادين : الصناعة ، الزراعة والتجارة.

1- الصناعة : ازدهرت الصناعة في مدن مختلفة وتكونت معها طوائف حرفية عرفت باسم الأصناف وأرباب الصناع وصار لكل صنف أو حرفة رئيس أو شيخ منتخب من أصحابها عرف باسم الأمين أو العريف ، وكان هذا الأمين مسؤولا ومدافعا عن طائفته وأهل حرفته أمام ممثل الحكومة في سوق المدينة المحتسب فكان يبلغه رأي طائفته حول تكاليف السلع ورأيه كان مقبولا لدى القاضي أو المحتسب (1).

لقد ارتقت الصناعة في الأندلس بتوالي الأجيال واتصال العمران وتوفر مواد الخام النباتية والعمرانية التي اشتهرت بها الأندلس في ذلك الوقت على أنها في مستوى الصانع اليدوي في تلك العصور، وبقيت السلع تصنع في البيوت والمحال والجوانب (2).

- استغل الأندلسيون الثروات الطبيعية فاستخرجوا المعادن المختلفة كالذهب والفضة والرصاص والحديد والزئبق والبلور والكبريت والملح، الرخام الجيد، الملح الأبيض، وكانت تستخدم هذه المعادن في بعض الصناعات التي تحتاجها البلاد لاسيما صناعة الأسلحة من سيوف ورماح كما اشتهروا بصناعة نسيج الملابس والأثاث والأوراق

(1) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي، إحسان عباس، دار النشر والتوزيع 2001، ط 1 ص 60
(2) ينظر الحضارة العربية الإسلامية، سلمى الخضراء الجيوسي، ج 2، ص 50

والزجاج والفخاريات وما يدخل في عدد الكماليات والتحفيات من الصناعات (3).

- وقد انتجت الأندلس صناعات أخرى كثيرة ومتنوعة كصناعة الحرير بأنواعه المختلفة مثل : الخزو ويصنع من الحرير والصوف أو الوبر والديباج وهو نسيج حريري موشي بخيوط من الذهب أو الفضة وكان هذا بفضل عناية أهلها بتربية دودة القز ووفرة أشجار التوت التي تتغذى القز على أوراقها ويشير المؤرخ الأندلسي عريب بن سعد إلى دور النساء في اقتناء الشرانق ورعاية بعض دودة القز من شهر فبراير إلى أن يفقس في شهر مارس من كل سنة .

- ومن أهم مراكز تربية دودة القز "غرناطة" و"مالقة" التي كان يقال لها جيان الحرير لكثرة اعتنائها بدودة الحرير، وكانت مدينة "المرية" في شرق الأندلس من أهم صناعة المنتوجات الحريرية ويقدر عدد الأنوال فيها 5800 نول .

- كذلك اشتهرت إشبيليا بالحلل الموشاة النفسية ذات الصور العجيبة برسم الخلفاء وبالمثل يقال بالنسبة للثياب الحريرية السرقسطية في شمال إسبانيا وقد حظيت المنسوجات الأندلسية بشهرة كبيرة في الأوساط الأوربية الراقية (1).

- صناعة النسيج : اشتهرت الأندلس بصناعة الأنسجة الصوفية خصوصا وأن قسوة المناخ في إسبانيا تحتم الاهتمام بمثل هذه الملابس ولهذا استخدموا فراء السمور، وفراء القثلية والمرغي المصنوع من شعر المعز إلى جانب الملابس الصوفية ، أما

(3) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل ابراهيم السامرائي ، عبد الواحد دنون طه،ناطق صالح مطلوب ص 179 – 180

(1) ينظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الجيوسي،ج 2،ص 50

السجاد والبسط والحصير فأهم مراكزها تقع في شرق الأندلس.

- صناعة السكر: لعبت الأندلس دورا كبيرا في زراعة القصب وعصره وتصنيعه ثم تصديره إلى العالم الخارجي ومن ثم أهم مراكز إنتاجه وتصنيعه غرناطة ومالقة واستمر إنتاج السكر في الأندلس حتى سقوط الحكم الإسلامي بها سنة 1493م لدرجة أن الأندلسيين سمحوا لعدد كبير من الموركسيين المسلمين المعاهدين المشتغلين بزراعة السكر بالبقاء في إسبانيا ولكنهم رفضوا وقد ترتب على رحيلهم تضاؤل كمية إنتاجه .

- صناعة الورق : ساهمت الأندلس بدور فعال في صناعة الورق منذ وقت مبكر واشتهرت بصناعة كل من شاطبة وبلنسية في شرق الأندلس (1) .

- صناعة الجلد : اختصت قرطبة بشهرة عالمية في هذه الصناعة حتى ثبت إليها مصطلحات فرنسية بهذا المعنى ، فأطلقوا على صانعي الأحذية كلمة Cordonnier وعلى الجلد نفسه Cordouan.

- صناعة الزجاج الزخرف : اشتهرت بها مالقة والمرية كما اشتهرت قيجاطة بالمصنوعات الخشبية هذا إلى جانب المصنوعات العاجية التي تميزت بدقتها وجمال زخارفها على أشخاص الحيوانات (2).

(1) حضارة الأندلس في الزمان والمكان، أعمال الندوة الدولية، ص 191
(2) المرجع نفسه ص 191

2- الزراعة: الأندلس بلد زراعي قبل كل شيء ، وكان الخراج والجزية والأخماس هي المصادر الرئيسية لخزينة الدولة ، وبدأت الزراعة بالازدهار نتيجة اهتمام الدولة بهذه الموارد المهمة ، فتحسنت أحوال العمال الزراعيين وأسقطت بعض الضرائب عن المزارعين (1).

- إن الزراعة كانت طيلة فترة الوجود العربي الإسلامي نشاطا رئيسيا أمتهنه عدد كبير من أفراد المجتمع، ومن الزراعات التي اشتهرت بها الأندلس هي :

- الحبوب والبقليات : ومن أشهر أنواع الحبوب زراعة القمح باختلاف أصنافهما بحسب لون الحبة وموسم البذار، ثم البقليات مثل : الفول والحمص واللوبياء والعدس والترمس الذي احتل مكانا متقدما في الزراعة الأندلسية .

- الخضر والبقول : كانت غلات البساتين على درجة عالية من التنوع على العكس تماما من الفقر المحتم على بساتين المنطقة النصرانية وكان بوسع الأندلسيين تناول الخضر والبقول على مدار السنة ، فالغلات الصبغية كالقرع والباذنجان والفاصولياء الخضراء والبطيخ الأصفر والأحمر والخيار والثوم تتناوب مع غلات الشتاء كاللفت والجزر والسلق والسبانخ والخرشوف الأمر الذي أغنى نظام التغذية للسكان بدرجة كبيرة (2) .

- أشجار الزيتون والفواكه : وتغطي قسما كبيرا من الأراضي الأندلسية كما هي الحال في الوقت الحاضر .

(1) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل ابراهيم السامرائي، عبد الواحد دنون طه ناطق،صالح مطلوب ص179
(2) الزراعة في الأندلس، يوسف نكادي،منشورات مركز الدراسات الأندلس وحوار الحضارات مطبعة النجاح 2008

- النباتات العطرية : إن قائمة النباتات المستخدمة لأجل إضفاء النكهة والرائحة الزكية كثيرة منها : الزعفران الذي أدى إلى ظهور تجارة نشيطة وقد استعمله الأندلسيون كعطر ومكون من مكونات المطبخ في وقت واحد، كما استعملوا نعناع الماء والكراوية والشمار والكمون والكزبرة والسمسم ، أما السوس واليانسون والأفسنثين فقد استعملوها في إعداد اللحوم والأثرية ذات النكهة الخاصة .

- نباتات الزينة والورد : تحتوي رسائل الزراعة الأندلسية على نباتات عالية القيمة تمكنا من التعرف على أنواع المحاصيل وعلى توزيعها وفوائدها ورموزها (1).

- كذلك انتشرت الأندلس بالحدائق والبساتين التي كانت تربطها شبكة القنوات المائية التي مازالت محتفظة بأسمائها العربية في اللغة الإسبانية مثل الساقية بمعنى الجدول الصغير، والنافورة، والبقاع ومنها انتقلت الى أمريكا كما أطلقوا على القصور الملكية ذات الحدائق والرياض اسم المنيات جمع منية.

- وقد حافظ الإسبان على القصر وحداثة الغناء التي لا تسمع فيها الأحذية المياه في كل مكان وقد عبر عن ذلك الشاعر جارتيا لورك بقوله :"غرناطة التي تبكي كثرة مياهها" (2).

- وبعد الجهود التي بذلها علماء الأندلس في تقدم العلوم الزراعية فقد صنفوا فيها كتبا علمية وأجروا عليها تجارب تطبيقية أفادت العلم فمنهم من اعتبر أسماء النباتات

(1) المرجع السابق، ص 32
(2) الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الجيوسي، ج 2، ص 1350

والأشجار جزءا من اللغة العربية فدونوها في معاجمهم كما فعل العالم الأندلسي الضرير أبو الحسن بن سدة في كتابه المخصص ومنهم من اهتم بالنباتات الطبيعية التي يستخرج منها الأدوية العقاقير لفوائدها الصحية من ضياء الدين بن البيطار لما لقى صاحب كتاب "الجامع لمفردات الأغذية والأدوية "منهم من كتب عن النباتات من حيث زرعه ونموه وتسميده وحصاده أي ما يسمى بالفلاحة ، ومن أشهرهم العالم الأشبيلي أبو زكريا يحيى بن العوام وكتابه" الفلاحة في الأرض".

ومن هذا نرى أن الأندلس قد تميزت بنزعتها الجمالية نحو الورود والأزهار في صحون مساجدها المليئة بأشجار الليمون والبرتقال وفي قصائد شعرائها وفي وصف جمال الطبيعة وفي مؤلفات علمائها من الفلاحة والأعشاب الطبيعية بل حتى في أصول أحكامها التشريعية التي تتماشى مع ميولها الطبيعية ونزعتها (1).

3- التجارة : كانت عماد الاقتصاد في الأندلس ، وكانت مرية ومالقة من الموانئ التي شهدت تبادلا تجاريا مع الأقطار الأخرى ، كما دخل الأندلس العديد من التجار المغاربة والمشارقة حاملين معهم بضاعة بلادهم بعدما وجدوا في قرطبة وغيرها من أسواق نافعة وتجارة لا تبور، وقد تميز هؤلاء وخصوصا أهل المشرق بترويج تجارة الكتب والمؤلفات النادرة ومواكبة الازدهار الاقتصادي الذي عم البلاد أمر الخليفة الناصر، سنة 316 ه باتخاذ دار السكة في قرطبة لضرب العين من الدنانير والدراهم، فكانت الدنانير تضرب من الذهب والدراهم من الفضة ثم انتقل الناصر إلى مدينة

(1) المرجع السابق، 1351

الزهراء وأنشا دار للضرب فيها ، أما جباية الأندلس في عهد الناصر قد بلغت أرقاما تعد بالملايين (1).

- تميزت الأندلس بسواحلها الطويلة وموانئها العامرة التي تطل على مياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي شرقا وغربا وجنوبا ولهذا أطلقوا عليها اسم "جزيرة الأندلس" لأن العرب لم يستخدموا مصطلح شبه الجزيرة في كتاباتهم وتعتبر منطقة الشرق الأوسط المطلة على البحر المتوسط أكثر الأقاليم الإسبانية تعربا ويرجع ذلك إلى نشاط اليمنيين اللذين أسند إليهم الأمويين دراسة هذه المنطقة وعمارتها لخبرتهم الملاحية القديمة في المشرق ولهذا سميت بأرض اليمن أي عطيتهم وأقطاعهم ، وتعتبر المرية هي القاعدة التجارية الرئيسية لهذا الإقليم وامتلك تجارهم ثروات ضخمة حتى يروى على سبيل المثال : أن تاجرا استضاف الحاجب المنصور بن أبي عامر وجيشه الذي يقدر بالأراف مدة أربعة عشر يوما .

ولقد أضاف الجغرافيون والرحالة في ذكر أهم المنتجات الأندلسية التي كانت تصدر إلى الخارج مثل : الملابس المطرزة والأصواف والأصباغ والحرير والورق السمك والتين الفاخر الجاف والخزف المذهب وزعفران معاصر الكروم الحلال منه والحرام (2) .

(1) ينظر حضارة العرب وتاريخهم في الأندلس، د خليل ابراهيم السامراني ، عبد الواحد دنون، طه ناطق، صالح مطلوب ص 180
(2) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري ص 791

الجانب العلمي :

تنوع نشاط العقلية الأندلسية خلال عصورها فعالج الأندلسي شتى أنواع المعرفة الإنسانية وتعمق في أغوارها ، فكان له الفضل في الإبداع والبروز ، فقدم بذلك للبشرية عقليات نادرة ذكية ولم تقتصر أهميتها على العرب والمسلمين بل تجاوزتهم إلى أروبا فحظيت باهتمام الباحثين وأعطيت الصدارة والتقدم من جامعاتهم ويمكن تصنيف إفرازهم الفكري إلى علوم الرياضيات والجغرافيا وعلوم اللغة والنحو والبلاغة والطب والفلسفة (1).

1- علم الرياضيات : لقي علم الحساب والهندسة عناية كبيرة في كشف حضارة الإسلام نظرا لدورها قي حياة المسلم من أجل التعرف على حركة القمر والشروق والأشهر ولا شك أن الأرقام العربية لعبت دورا بارزا في استعمالاتها ، إذ أن الغرب كانوا يستخدمون الأرقام الرومانية الصعبة ، ثم إن المسلمين برعوا في تعلم الحساب نظرا لتعلقه بعلم الموازين الإسلامي ، ومن العلماء المسلمين الذين لعبوا دورا عظيما في مجال الرياضيات وعلم الفلك نذكر على سبيل المثال : ابن باحة ، المجربطي والبطروحي (2).

2- علم الجغرافيا : تابع الأندلسيون المشارقة اهتمتماهم بهذا العلم لمعرفة ممالك العالم مما أتاح لهم وصف جزيرتهم والمغرب والعالم العربي الإسلامي كما أكثروا من

(1) الشعر في عصر المرابطين والموحدين، محمد مجيد سعيد، ص 227
(2) حضارة الاندلس في الزمان والمكان، إعمال الندوة الدولية ص 227

الرحلة بحثا عن الكلأ ومساقط الغيث والفرض هو الحج ثم كانت فتوحهم الإسلامية وهجراتهم الطويلة شرقا إلى أواسط آسيا وغربا إلى الأندلس والمحيط الأطلسي، فكان من الطبيعي أن يولعوا بالرحلات والأسفار والتعرف على البلدان العربية والبعيدة والمسالك المؤدية إليها (1).

ومن بين الجغرافيين الأوائل أحمد بن محمد الرازي الذي يعد مؤرخا وجغرافيا في أن واحد وله كتاب "مسالك الأندلس" ويعاصره الجغرافي الوراق الذي دخل خدمة الخليفة الحكم وألف كتاب عن المسالك الافريقية (2).

3- علم اللغة والنحو والبلاغة : كان للأندلس مكانتها وأثرها في هذه العلوم ، فكانت الحركة النقدية في هذه الجوانب متناسقة على ما يجدي في المشرق ، وكان العلماء ذوي الشأن يفدون إلى الأندلس ، كما كان طلبة العلم والمستزيدون من العلماء يقصدون المشرق حرصا على الرواية والرغبة في لقاء العلماء وتحصيل علم جديد كما أسهم هؤلاء في نقل الكتب الغالية والثمينة ، وتتحدث كتب التراجم عن أثر المؤدبين والمعلمين وكبار الأساتذة في إضفاء جو غزير الفائدة من إشاعة العربية والحرص على علومها ، ومن انتشار العربية العالية في العرب والبربر والإسبان الذين ظلوا على ديانتهم القديمة والمولدين الذين دخلوا الإسلام من أهل البلاد (3).

- وفد أبو علي القالي إلى الأندلس عام 330 ه/941 م وحمل إليها الكثير من علوم

(1) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د خليل ابراهيم السامراني ، د عبد الواحد دنون طه ، د ناطق صالح مطلوب ص 327
(2) في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية ص 46
(3) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل ابراهيم السامراني ، عبد الواحد دنون طه ، ناطق صالح مطلوب ص 328

المشرق وأدبه وبالذات دواوين امرؤ القيس وزهير والنابغة والخنساء والأخطل وجرير والفرزدق وغيرهم هذا بالإضافة إلى كتب الأخيار واللغة ، كما ألف كثيرا في الدراسات اللغوية وأملى على طلبته الأندلسيين كتابة الأمالي (1).

- ونشاط الأندلسيين في النحو لا يقل عن نشاطهم في اللغة ، ويروي أن للفقيه عبد الملك بن حبيب السلمى كتابا في إعراب القرآن وله رحلة إلى المشرق أخذ فيها بالفسفاط عن أبي جعفر الدينوري كتاب "سيبويه"

- ومن اللغويين السيد البطليوس وله كتاب في النحو سماه "المسائل والأجوبة" ومثله في ذلك معاصره ابن باديس وله شروح على كتاب "سيبويه" و"المقتضب" للمبرد و"الأصول" لابن سراج و"الإيضاح" لأبي علي الفارسي (2).

4- علم الحديث : نشطت الأندلس نشاطا واسعا ويتسع هذا النشاط من القرن الثالث هجري ، فكان يبقى بن مخلد من المفسرين وله في الحديث النبوي مصنف يقول فيه ابن حزم " له في الحديث مصنفة الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم فروي فيه عن ألف وثلاثمائة صحابي وزيادة ، ثم رتب حديث كل صحابي على أسماء الفقه وأبوابه فهو مصنف ومسند "

- وكذلك من المحدثين بالأندلس محمدبن وضاح وله رحلتان إلى المشرق في نشر الحديث وسعة الرواية وتعلم على أيدهما ابن وضاح ويبقى بن مخلد،

(3) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ص 96
(4) المرجع نفسه ص 96

ثابت بن عبد العزيز سرقسطي وابنه قاسم ومن أهم المحدثين في القرن الرابع قاسم بن أصبغ وله كتاب "غرائب الحديث" مالك ابن أنس مماليس في الموطا ، وفي أواخر القرن الرابع هجري ابن فطيس وبنوه ابن شكوال في كتابه "الصلة" بحفظه الحديث ، كما ظهر في القرن الخامس كتاب "الجمع بين الصحيحين" للحمدي صاحب جدوة المقتبس ، وتكاثر المصنفون لكتب الحديث النبوي في القرن السادس هجري ومنهم زرين سرقسطي وله كتاب "التجريد بين الموطا والصحاح الخمس" ، عبد الحق الإشبيلي المعروف بابن الخراط وله كتاب "الجمع بين الصحيحين بخاري ومسلم" ومن أهم المحدثين في القرن السابع هجري ابن لقطان علي بن محمد كان من أبصر علماء الحديث وعلله ورجاله (1).

5 – علم الفقه : كانت الأندلس في أول عهدها بالفتح على مذهب الأوزاعي فقيه الشام واستمر العمل به إلى أن ساد المذهب المالكي ، وكان مذهب أهل المدينة وأمراء الأندلس الأوائل يميلون إلى الإمام مالك مثل كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" للقاضي عياض (2).

- وأثبت الأندلسيون لأنفسهم اسما في الدراسات البلاغية والنقدية فممن اشتغل بالبلاغة ابن عبد الغفور الكلاعي صاحب "أحكام صنعة الكلام" والمواعيني صاحب "الريحان والربعان" وابن رشد الذي تلتحم البلاغة عنده بالفلسفة وهو الذي لخص كتابي

(1) الشعر في عصر المرابطين والموحدين، محمد مجيد سعيد، ص 72
(2) المرجع نفسه، ص 72

"الخطابة والشعر" لأرسطو، وفيهم أبو البقاء الرندي صاحب كتاب "الوافي في نظم القوافي" ومن النقاد في الأندلس ابن شهيد ، وابن حزم والكلاعي والرندي الذي استفاد منه ابن رشيق ، ابن سراج الشنتريني وحازم القرطاجي صاحب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" ، وكان الاندلسيين يستفيدون من هذه الدراسات النقدية والبلاغية في المشرق ويستفيدون من كتب أرسطو المترجمة، ولحازم مكانة خاصة بين نقاد الأندلس.

6- علوم القران والقراءات والتفسير وعلم الكلام : فكانت لهم إسهامات فيها ، حيث قاموا بالإتصال مع علماء المشرق ، وظهر في الأندلس والغرب علماء في هذه المجالات وأنشؤوا مؤلفات مهمة ، ونظموا منظومات تعليمية ما يزال بعضها يدرس إلى يومنا هذا ، وقد اشتهر من العلماء بالقراءات جمهرة فيهم : أبو عمر الطلمنكي، مكي بن أبي طالب أو حموش القيرواني وأبو عمروا الداني له مؤلفات كثيرة منها : "التيسير في القراءات السبع " والإمام الشاطبي صاحب "المنظومة الشاطبية" (1).

وفي المفسرين ابن عطية أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية قاض المرية وولي أبيه قضاء غرناطة ، فهو من بيت علم وفضل ، وكان فقيها نابها عارفا بالأحكام والحديث وكتابه "المحرر الوجيز" في التفسير أحسن التأليف منه وأبدع التصانيف على مر الأزمنة (2).

- وظهر بعدهما القرطبي محمد بن أحمد نزيل مصر الذي اختار المنايا الصعيد وله

(1) في الادب الاندلسي، محمد رضوان الداية، ص 47
(2) تاريخ الادب العربي، شوقي ضيف، ص 109

تفسير مشهور المسمى "جامع أحكام القرآن" والميسي لما تضمنه من السنة والقرآن ، وقد سمع الكثير من الأندلسيين عن مالك ، ومن تلامذته في المشرق عند رحلتهم في طلب العلم

- وأول فقيه أندلسي بين الأئمة المالكية عيسى بن دينار وأخذ عن أصحاب مالك ، وتألق بعده يحيى بن يحيا الليثي ، ومن فقهاء الأندلس عبد الملك بن حبيب وابنه محمد أحمد وابن عبد البر القرطبي ، وأبو الوليد الباجي ، وأبو الوليد ابن رشد الذي عرف بالجد ، وأبو بكر بن العربي الإشبيلي ، وابن حرب محمد بن أحمد وله كتاب "الفوائد الفقهية في المذاهب المالكية" والشافعية والحنفية والحنبلية في ثلاثة مجلدات وجاء بعده ابن عاصم أبو بكر محمد بن محمد وله أرجوزة في الفقه المالكي في نحوه 1695 بيت وهي منشورة في باريس منذ القرن الماضي ، وكان الطلاب يدرسونها في جامعة فاس إلى عهد قريب (1).

7- علم التاريخ : ألف الأندلسيون في التاريخ العربي العام والمحلي ، وتحتفظ كتب التراجم والتواريخ بأسماء كثيرة تناولت بلاد الأندلس بالتأريخ في شكل أندلسي شاملا ، أو تأريخ مرحلة من المراحل أو بلدة من البلدان.

- كما حظيت السيرة النبوية وتراجم الصحابة بعناية مميزة وخصوصا في أيام دولة الموحدين ، ومن مؤرخي الأندلس ابن حيان الأندلسي صاحب كتاب "المقتبس في تاريخ رجال الاندلس" وكتاب "المتين" والصرفي له كتاب في دولة المرابطين ،

(1) المرجع السابق، من9 10 – 117

وابن صاحب الصلاة صاحب كتاب "المن بالإمامة على المستضعفين" وهناك سلسلة في تراجم أهل الأندلس ، انتظم في تأليفها عدد من المؤلفين على امتداد عصور الأندلس متل : "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي، وأكثر الأندلسيون من تأليف برامج العلماء أو الفهارس وقد نشر عدد منها مثل : فهرسة ابن خير ، وبرنامج شيوخ كما أكثروا كذلك من التأليف في تراجم العلماء والأدباء واللغويين من كتب شاملة أو خاصة بعصر من العصور أو قرن من القرون أو مدينة من المدن المهمة (1).

8- علم الطب : ازدهر هذا العلم في الأندلس وأدى هذا الازدهار إلى ظهور أسر اشتهرت بهذا العلم وبرعت وتركت آثار تأليفية مهمة كاسرة بني زهر الإشبيليين ومن الشخصيات المؤثرة في تاريخ الطب عند العرب الزهراوي صاحب الاستنباطات والاكتشافات ، والذي سارت كتبه وترجمت إلى لغات كثيرة كما له رسائل كثيرة في تحضير الأدوية ، وعلاقة المريض بطبيبه وفي أمراض النساء والطب الجراحي والباطني والإكلينيكي والصيدلة (2) .

(1) في الأدب الأندلسي محمد رضوان لداية ص 49 – 50
(2) حضارة الأندلس في الزمان و المكان، أعمال الندوة الدولية،ص 238

الفصل الثاني

مظاهر الحضارة العربية الاسلامية

المبحث الأوّل: الغناء و الموسيقى

المبحث الثاني: الثّقافة

المبحث الثالث: الفنون الاسلامية

المبحث الرابع: فن الزّخرفة

المبحث الخامس: العلوم

المبحث السادس: الألبسة

المبحث السابع: الخط العربي

1 – الغناء والموسيقى :

تعرف العرب قبل الاسلام إلى فن الموسيقى والغناء والعزف على الآلات الموسيقية على غرار شعوب الشرق الأدنى القديم، ويروى أن اليمنيين كانوا أبرز من مارس هذا الفن، وفي بداية التاريخ الإسلامي للتاريخ الميلادي برز سوق عكاظ، فكان الشعراء والموسيقيون ينافسون بعضهم بعضا .

وكانت الآلات الموسيقية المستعملة في ذلك الوقت : العود، الطمبور، المزهر، المعرفة، القصابة، المزمار، الدف، واعتبروا الحجاز منبع الموسيقى وعرف اليمنيون بالغناء الحميري .

- كما ظهرت بعض الكتب التي تهتم بهذا النوع من التراث منها "الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني و"الكافي في الموسيقى" لابن زيلة و"علم الموسيقى" لابن سنبل و"جامع الألحان" لابن غيبي (1).

- أبدع العرب في مجال الموسيقى من بينهم الفيلسوف الشهير أبو يعقوب اسحاق الكندي الذي له مؤلفات منها : "الرسالة الكبرى" و"رسالة في الأخيار عن صناعة الموسيقى"، أما الفرابي فقد كان عازفا ماهرا وعالما بأصول الموسيقى وفروعها وله كتاب الموسيقى الكبير.

كما تحدث ابن سينا في كتابه "الشفاء" عن الموسيقى وقد كانت أوربا مدينة للعرب في هذا المجال (2).

(1) الوسيط في الحضارة الاسلامية: عماد الدين خليل، فايز الربيع، دار ومكتبة حامد 2004، ط 1، ص 157 –158

(2) ينظر ومضات من الحضارة العربية الاسلامية: ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي ،دار المناهج 2004، ط 1، ص 124

- لقد عرف العرب أنواعا من الغناء منها : الحداء الذي يصحب الابل في قوافل الصحراء وأناشيد الركبان، ونواح الثاكلان، وأراجيز الحروب، وبكاء الحجاج، وغناء الكرائن أي الفتيات والمغنيات، وقد قسم العرب الغناء إلى عدة أقسام :

أ – النصب : من الأنصاب، غناء الركبان وهو ضرب من الغناء الديني.

ب – القينان والسناد : وهو الثقيل بالترجيع الكثير النغمات.

ج – الهزج : وهو الخفيف الذي يرقص عليه (1).

- فلفظ الموسيقى معناه الألحان وما ينسب إليها من أشياء تحس وتتخيل وتعقل .

- ولما جاء الاسلام استولى المسلمون على مماليك الدنيا ومالوا إلى الترف، وغلب عليهم الرقة بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ، وافترق المغنون من الفرس والروم، فوقعوا إلى الحجاز وصاروا موال العرب وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير، وسمع العرب تلحينهم للأصوات، فلحنوا عليها أشعارهم، وظهر في المدينة نشيط فارسي وطويس، وسائب مولى عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه، وطاب لهم ذكره، ثم أخذ عنهم معبد وطبقة وابن سريج وأنظاره (2).

(1) ينظر الحضارة العربية الاسلامية: سلامة صالح النعيمات، نوفان رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة ، 2008، ص 293.
(2) المرجع نفسه ، ص 143

- وفي مكة قبيل السلام انتشرت القيان بين رجال قريش وأثريائها فكان عبد الله بن جدعان أحد أثرياء قريش يقتني قينتين سماهما الجرادتين و وهبهما لأمية بن أبي الصلة الثقفي مكافأة له على مدحه إياه (1).

- أخذ حب الموسيقى يتطور إلى شغف مفرط في عهد الوليد الثاني، وأصبحت أموال طائلة تنفق من غير حساب على مشاهير المغنيين والموسيقيين، وما زالت صناعة الغناء تدرج وتزداد إتقانا كلما قربت الدولة من الترف والقصف إلى أن اكتملت الغاية على يد ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي وابنه إسحاق .

- اعتبرإ سحاق الموصلي الموسيقى الأول في العهد العباسي، ومن تلامذته زرياب الذي فاز بإعجاب الخليفة الرشيد، فحدثت بينه وبين الموصلي فجوة اضطر على إثرها إلى الهجرة إلى الأندلس مرورا بالمغرب واستغرقت رحلته ثلاثة عشر سنة ووصلها في عهد عبد الرحمن الثاني (2) .

- الغناء الديني في الإسلام كان محصورا في صوتيات الكلمة فقط، ولم يعرف الإسلام أي صيغة أخرى وافقت الشعائر الدينية كالموسيقى البحتة المجردة من الكلمة.

إن أهمية الغناء في فن الموسيقى عند المسلمين تنبع من أهمية الكلمة عندهم، هذه الكلمة التي كانت أساس النداء الداعي إلى الصلاة (3).

(1) تاريخ الحضارة الإسلامية :السيد عبد العزيز سالم، ص 264.
(2) الوسيط في الحضارة الاسلامية:عماد الدين خليل، فايز الربيع، ص 159.
(3) ينظر وحدة الفنون الاسلامية : غازي مكداشي، شركة المطبوعات، 1990، ط 1 ،ص 123 .

- كانت يثرب من أعظم مراكز الغناء والموسيقى في العصر الجاهلي بدليل أن أهل المدينة استقبلوا الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أقبل مهاجرا إليها استقبالا حافلا، فتلقاه المغنون بالدفوف والألحان، وأن الصحابة كانوا يتغنون ببعض الرجز أثناء قيامهم بحفر الخندق يوم الأحزاب، وبعد شيوع الغناء في المدينة قبل الإسلام وشغف القوم به مقدمة لانتشاره في عصر الخلافة الراشدة والعصر الأموي حتى أصبحت المدينة أهم مراكز الغناء والموسيقى (1) .

- الموسيقى فن رياضي يبحث عن أحوال النغم من حيث الإتقان والتنافر وأحوال الأزمنة المتخللة بين النفرات من حيث الوزن وعدمه لتحصل معرفة كيفية تأليف اللحن، وعلم الموسيقى يشتمل على بحثين : البحث الأول عن أحوال النغم، والثاني عن الأزمنة، فالأول يسمى علم التأليف، والثاني علم الإيقاع .

- الموسيقى كالشعر وهو يعبر عن جمال الطبيعة بالألفاظ والمعاني، وهي تعبر عنه بالأنغام والألحان، والغناء تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع على كل منها توقيعا عند القطعة فيكون نغمة ثم تؤلف تلك النغمة بعضها إلى بعض على نسب متفاوتة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات .

(1) ينظر تاريخ الحضارة الاسلامية :السيد عبد العزيز سالم، ص 263 – 264.

- كان الضرب على الدف من أنواع الموسيقى البدائية، وقد أباحه الاسلام في الولائم، وكان حارث بن كلدة التقفي الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يضرب العود (1) .

- كان الأمراء والأميرات في العصر العباسي يعملون على رفع شأن الموسيقى، فكانت الأميرة علية وهي معروفة بفضلها وورعها في هذا المجال، ولها ذوق سليم في وضع الأنغام والألحان، وقد أشاد صاحب الأغاني بتأليفها، ولم يكن أخوها ابراهيم يقل عنها نبوغا وحذقا، كما كان الخليفة الواثق عالما بالموسيقى مشهورا بالعزف .

- ولما اشتغل المسلمون بالعلوم الدخيلة وترجمتها، وكان من بينها كتب الموسيقى اليونانية والهندية والفارسية، فتناولوها كعادتهم بالدرس والتهذيب والزيادة حتى صارت فنا متميزا خاصا بهم، وألفوا فيه فضلا عما اخترعوه من الآلات، واستنبطوه من الألحان التي لم يكن لها مثيل من قبل، كالآلة التي اخترعها الفرابي والتي ضلت إلى الآن كما هي.

وكان المغنون من خيرة المثقفين ومن أحاسن أهل الأدب، وكان للخلفاء عناية كبيرة بالغناء والمغنين ويبدلون لهم جوائز سنية والأموال الطائلة لتجويد غنائهم وتحسنه (2).

- بالرغم من الإتصال التاريخي وتأثر الموسيقى العربية إلا أن خصائص ومميزات الموسيقى العربية بقيت حتى اليوم .

(1) ينظر الحضارة الاسلامية في النظم والعلوم والفنون :اسحاق رباح، سليمان أبو سويلم، ص 141 - 142
(2) المرجع نفسه ،ص 143 – 144 .

2 – الثقافة :

تعود جذور الكلمة culture إلى اللفظ اللاتيني culture الذي يعني حرث الأرض وزراعتها، وقد ضلت اللفظة مقترنة بهذا المعنى طوال العصرين اليوناني والروماني، وفي فرنسا أطلق على الطقوس الدينية cultes، وفي عصر النهضة اقتصر المفهوم cultureعلى الناحية الأدبية الغنية واستخدامها بذات المعنى فولتير حيث كانت الكلمة cultureهي تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة .

- يعرفها رالف لينتون : " بأنها شكل متكامل من السلوك المكتسب ونتائجه يشترك في عناصرها وبنقلها إلى أفراد مجتمع معين " (1).

- أما كلايد كلوكهون فيعرفها " بأنها الميراث الإجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها، أو هي الجزء الذي خلقه الانسان في محيطه وهي التي تحدد الأساليب الحياتية، أو هي الطريقة في التفكير، الشعور ومعتقدات و أنها معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها " (2) .

- الثقافة في عمومها مجموعة متكاملة من المعارف ذات تأثير أخلاقي وسلوكي وفكري على الإنسان بحيث تجعل منه شخصية سوية قادرة على مواجهة مشكلات الحياة بعقلية ناضجة متفتحة،و للثقافة العربية ثلاث مقومات هي :

(1) ينظر الوسيط في الحضارة الاسلامية:عماد الدين خليل، فايز الربيع، ص 80
(2) المرجع نفسهص 81

أ – اللغة : فهي ليست مجرد وعاء تحتفظ فيه الأمة بتراثها الثقافي والفكري والعلمي، ولكن اللغة كائن حي له حياته وله قدرته على الإحياء، وبهذا تكون اللغة عاملا في إنشاء الحضارة والمحافظة عليها وفي نفس الوقت إعطاء إمكانيات الإبداع الحضاري في تطور مستمر وتلاحق حضاري مستمر (1).

- إن التراث الثقافي العربي هو الباعث الأول على تكوين الحضارة العربية، فالعيب يكمن في اللغة العربية ذاتها لأنها تعجز عن مواكبة وملاحقة التطور الحضاري الحديث، فهناك قضية تواجهها اللغة العربية، وهي قضية الفصحى والعامية، فاللغة الفصحى هي التي قامت بالدور الثقافي والحضاري في كل حضارات العالم القديمة والحديثة، أما اللغة العامية فهي تختلف من شعب لآخر، ففي القطر الواحد يطرأ عليها عدة تغييرات، فلو اعتمدنا عليها لكان معنى هذا أننا سنغير لغة الكتابة بالعامية كل نصف قرن أو كل قرن على أكثر تقدير .

ب – التراث : إن التراث باعث للحركة الثقافية أو النشاط الثقافي، فالتراث الحضاري نجده في كل شيء في لغتنا، وفي صيغتنا وقوالبنا التعبيرية، وفي آدابنا وسلوكاتنا، وفي أعيادنا وتقاليدنا وأفراحنا القومية والشعبية .

- التراث العربي له دلالتين متمايزتين تختلف كل منها عن الأخرى من حيث الشكل والمضمون.

(1) ينظر للثقافة العربية ومستقبل الحضارة: محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء، 2008، ط 1، ص 13 – 16.

- وأما الأولى فهي الدلالة العامة التي ترمز إلى الحضارة ككل من بداياتها قبل الإسلام ثم في أطوارها الإسلامية، والثانية هي الدلالة الخاصة وهي ترمز للإنتاج الفكري للعقلية العربية من علوم لغوية و دينية و فنون وثقافات و علوم طبيعية و فلسفية و سائر علوم المعرفة التي تتعلق بحياة الإنسان و المجتمع (1) .

- إذن يمكن القول أن التراث العربي تكون من الجاهلية ومع امتداد الحضارة الإسلامية التي ضلت طوال قرونها تبدع وتخرج ما فيه خير للإنسان بصفة عامة.

ج – الترجمة : الترجمة ضرورة حضارية وعلى الأمة أن تنهض بتبعاتها بجد وأمانة ووعي حضاري، ولكي تصبح واجبا حضاريا و قوميا وعالميا لا بد لها من مرحلة تمهيدية لتقيم أولى معالم الحركة الكبرى (2).

- فبالنسبة للعصر العباسي كانت مرحلته التمهيدية هي العصر الأموي، ففي هذا العصر كانت الأمة الإسلامية تضم أجناسا مختلفة وحضارات متباينة لكل من علومها وآدابها وصناعاتها ولكن لم تسمح بنفوذ علوم تلك الحضارات إلى البيئة الاجتماعية الإسلامية إلا إذا كان منه نفع عملي للناس وذلك حفاظا على العقيدة الإسلامية .

- مرت عملية الترجمة في العصر العباسي بثلاثة أدوار متكاملة هي :

الدور الأول : من سنة 136 إلى 193 هجري أي من خلافة المنصور إلى آخر أيام الرشيد، وقد ترجمت في هذا الدور كتب كثيرة منها : كليلة ودمنة، وكتب أرسطو في المنطق، وكتاب المجطسي في الفلك .

---

(1) ينظر المرجع السابق، ص 17 - 48.
(2) الوسيط في الحضارة الاسلامية: عماد الدين خليل، فايز الربيع، ص 362

ومن كبار المترجمين في هذا الدور: ابن المقفع، جرجيس جبرائيل، ويوحنا بن ماسوية .

الدور الثاني : ويبدأ من 198 إلى 3000 هجري، وكان من أشهر مترجميه يوحنا أو يحيى البطريق، مولى المأمون الذي نهض بترجمة عدد كبير من كتب أرسطو، وحنين بن اسحاق .

الدور الثالث : ويمثله من جاء بعد المأمون من الخلفاء العباسيين، ومن أشهر مترجميه: يحيى بن عدى، وابن زرعة وكان المنطق والطبيعة لأرسطو أهم ما ترجموه .

- ازدهرت الترجمة في عصر الخلفاء العباسيين فكانوا يرسلون بعثات علمية إلى بلاد الروم ولسيما القسطنطينية لاختيار أجدر الكتب وأحقها بالترجمة إضافة إلى إنشاء مدارس خاصة للترجمة .

وعلى هذا نهض المسلمون بأمانة الحضارة ، فكانت إبداعاتهم في كل مجالات العلوم والمعرفة فالترجمة تعتبر عصر الحضارة الإسلامية (1).

- الثقافة هي عصب النشاط الحضاري، والوجه الذي يمنحه خصوصياته بين الحضارات وقدرته على التأثير، ويغدوا السعي لوضع استراتيجية ثقافية للأمة الإسلامية في اللحظات الراهنة واحد من أشد مطالب النهوض الحضاري أهمية (2).

(1) ينظر الثقافة العربية ومستقبل الحضارة: محمد عبد الواحد حجازي ،ص 24 – 28.
(2) الوسيط في الحضارة الاسلامية: عماد الدين خليل، فايز الربيع، ص 362.

3 – الفنون الاسلامية:

تمثل الناحية الفنية ناحية هامة من نواحي الحضارة العربية الإسلامية ، وقد تميز الفن الإسلامي عن غيره من الفنون الأخرى بما يلي :

- وحدة الفن الإسلامي : على الرغم من تعدد مراكزه واتساع أقطاره، وتأثر العوامل المحلية من مكان لآخر إلا أن الفن الإسلامي ظل واحدا في بلاد الإسلام كافة، لأن الإسلام يستلهم أفكاره من مصدر إلاهي واحد، ولأن الحضارة التي نتجت منه كانت موحدة بالرغم من الإبداع والتنوع فيها .

- الروح الدينية: فقد تمتع بروح الإسلام واتجه نحو الموضوعات الدينية بالدرجة الأولى مثل : بناء المساجد والمدارس وزخرفتها بالآيات القرآنية .

- تنوع موضوعاته : ويتمثل هذا النوع في العمارة فعندما نرى مسجد في أصفهان، وآخر في استنبول والثالث في قيروان عندها نرى الفرق الشاسع في الطرز المعمارية والفنية .

- كثرة الزخرفة : لم يكن الفن الإسلامي قائم على البساطة بل كانت الزخرفة هي الأساس .

- النمو والتدرج والتطور والقدرة على الإبتكار : فقد شمل جميع أنواع الفنون من الخشب والزخرف والزجاج والمعادن وغيرها (1).

(1) ينظر حضارة عربية اسلامية: صالح النعيمات نوفان، رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، ص 319 – 320.

- ازدهرت فنون عمارة المدن والقصور والنحت والتصوير لدى بعض الدول العربية القديمة خاصة في اليمن والبثراء وتدمر، ولم تتطور مثل هذه الفنون عند عرب الحجاز قبل الإسلام، وعندها ظهر الإسلام وقامت دولته واتسعت رقعتها فشملت بلادا واسعة، نشأت في المجتمع الجديد وتطورت فيه فنون مختلفة (1) .

- تعتبر الفنون الإسلامية من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، ولا تزال هذه الفنون من عمارة وتصوير وزخرفة وكتابة ماثلة في البلاد الإسلامية، والتي وصلت إليها حضارة الإسلام ونجد هذه الأثار في المباني في بلاد العراق والشام وتركيا وإيران ومصر وشمال افريقيا والمغرب وفي الأندلس وكذلك في الهند والباكستان وغيرها.

- الفنون التي تنشأ عند مختلف الأمم تتأثر عادة بعوامل مختلفة، وكل هذه الفنون تأخذ من الفنون التي سبقتها، وتتأثر كذلك بفنون البلدان البعيدة، كما تشترك الفنون التي ازدهرت في العالم الإسلامي بصفات تميزها عن الفنون الأخرى كالبابلية والفرعونية والساسنية واليونانية والرومانية والبيزنطية التي تتابعت في بلاد الشرق على مر القرون قبل مجيء الإسلام، كما استفاد المسلمون من التقاليد الفنية التي كانت سائدة في البلاد التي فتحوها، على أن طبيعة المجتمع الإسلامي وخاصة الدينية والدنيوية هي الإطار الهام للفنون الإسلامية، وأعطتها خصائصها العامة المميزة .

- ومن أهم العوامل التي ساعدت على تطور وغنى الفنون الإسلامية استعداد الحكام

(1) ينظر المرجع في الحضارة العربية الاسلامية: ابراهيم سلمان الكروي، مركز الاسكندرية للكتاب 2008، ص 489.

المسلمين للإستفادة من الصناع والفنانين الذين ينتمون إلى أجناس مختلفة وأديان متباينة، ومن أهم هذه العوامل عدم تردد المسلمين في الأخذ من الأساليب الفنية البيزنطية التي كانت سائدة في الشام ومصر وشمال افريقيا، وكان كذلك للثروة وحياة الترف التي شهدها المجتمع أكبر أثر على نهضة الفنون (1) .

- ارتبط الفن الإسلامي أشد الإرتباط بالدين، فأصبحت الآيات القرآنية تنقش على الأواني والحوائط والأسوار، وكان في أول أمره فنا خاصا بالحكام، ثم بدأ يأخذ الطبقة الشعبية في القرنين الرابع والخامس هجري .

- أصبح للعمارة شأن كبير عند العرب قبل الإسلام وتجلى ازدهارها في تخطيط المدن وبناء المساجد والقصور والمدارس و المارستنات وغيرها (2) .

ومن أهم عناصر ومظاهر العمارة العربية الاسلامية :

أ – الفناء : وهو الفراغ المكشوف المحدد بواسطة حوائط أو مبان و الصحن هو الحوش، فهو رمز الحياة وقلب المبنى التي تطل عليه الحجرات من جميع جهاتها بألوانها وزخارفها .

ب – الايوان : وهو من المميزات المعمارية البارزة في البيت أو المسكن الإسلامي ويطل الإيوان على الصحن، وهو بناء له ثلاثة جدران، يعلوه طاق كبير عالي وسقف

(1) ينظر المرجع السابق، ص 490
(2) ينظر معالم التاريخ وحضارة الاسلام: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دار الفكر العربي القاهرة، 1998، ص 307 .

يكون مكشوف من واجهته الأمامية.

ج – الأروقة : تقام الأروقة عادة في مقدمة الأواوين والحجر في الطابق الأرضي وأمام الغرف في الطابق العلوي بشكل ممر مكشوف الوجه .

- ظهرت الأروقة في بيوت العباسيين وقصورهم في سامراء، القصر العباسي في بغداد، وفي المساجد .

د – السراديب والردهة : يقام السرداب عادة تحت مستوى أرضية الدار، والردهة هي قسم منه وعادة ما تكون أرضيته وجدرانه مبلطة بقطع من المرمر .

ه – المداخل والدهاليز والأبواب والنوافذ أو الكوة الصغيرة :

ظهرت المداخل في المساجد والقصور والمباني الإسلامية الكبيرة .

- توضع الأبواب عادة في مداخل عميقة وعالية جدا، أما النوافذ فقد استخدمت في أعالي البيوت (1) .

- يتجلى تقدم المسلمين في فن العمارة في النواحي التالية :

3-1- تخطيط المدن : بنى المسلمون مدنا كالكوفة والبصرة والفسطاط في عهد الخلفاء الراشدين، والقيروان وواسط في عهد الأمويين، وبغداد وسامراء في عهد العباسيين (2) .

(1) ينظر الفنون الاسلامية: اياد الصقر دار المجد لاوي، عمان 2003، ط 1، ص 177 – 178.
(2) معالم التاريخ وحضارة الاسلام: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، ص 307.

- كان للدين الإسلامي وانتشاره المكاني أثر كبير في نشوء المدن الإسلامية وتطورها وتخطيطها .

- تشير معظم الدراسات التي تناولت بنية المدن العربية الإسلامية أن المدينة الإسلامية كانت تعتمد في تخطيطها على :

أ – الاستعمالات الدينية : احتل المسجد أفضل موقع في المدينة، وهو المركز بوصفه مقرا للصلاة، ويرتبط المسجد بشوارع رئيسية تصل المدينة حتى أبوابها الخارجية .

ب – الاستعمالات التجارية : احتلت الأسواق التجارية موقعا مركزيا حول المسجد، يسهل الوصول إليه من أطراف المدينة .

ج – الاستعمالات السكنية : وتشغل ثلثي مساحة المدينة .

د – الاستعمالات الصناعية والحرفية : تحتل مركزا وسطا مرتبط بالأنشطة التجارية

ه – الاستعمالات العسكرية : وتتمثل في المساحات المخصصة للتدريب والأسوار والأبراج والقلاع والخنادق .

و – الشوارع : وتقدر بنسبة 25 % من مساحة المدينة العربية الإسلامية .

ز – الاستعمالات الأخرى : وتشغلها المؤسسات التعليمية والصحية والحمامات وغيرها (1).

- تبدأ نشأة المدن الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي حولتها الى مدينة بمفهوم حضاري واضح، وكانت المدينة قبل الهجرة مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة إضافة إلى الأسواق، كما ظهرت منشآت خاصة السقائف

(1) ينظر الحضارة العربية الاسلامية: سلامة صالح النعيمات، نوفان رجا حمود، نعيم ابراهيم الظاهر، ص 334 – 335.

كسقيفة بني ساعدة والريان وبهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم تم تنظيم الحياة في المدينة المنورة، ونشأت الأسواق التي كانت تقع على أطراف المحلات السكنية، وكان مكان السوق عبارة عن خيم ربطت بين جميع هذه الأقسام والشوارع والطرقات التي ربطت الأحياء المختلفة بمسجد الجامع (1) .

- كما حرص المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين على تنظيم بناء المدن، فإذا اختطوا مدينة قاموا ببناء المساجد الجامع في وسطها، وتركوا حوله فراغا تتفرع منه الطرق وإليه تنتهي شوارعها وحاراتها، وإلى جانبه تقام دار الأمارة وتكون عادة في ضلعه الجنوبي كما فعلوا في البصرة والفسطاط والقيروان .

- وفي عصر الخلافة كانت تبنى قصور الأمراء وإلى جانبها وعلى مسافة قريبة تبنى المساجد الجامعة، وكانوا يعنون أيضا بتنظيم الأسواق وترتيبها داخل المدن وتصنيفها حسب السلع (2).

- كان تخطيط المدن الإسلامية يعكس فلسفة الحضارة الإسلامية وتطلعات القيادة الحاكمة وطبيعة المرحلة التاريخية .

- لقد تطور العمران في المدن الإسلامية بالمشاركة التي أتاحها الحكام للعامة في تعمير المدن وتشجيعها من اقطاعات للأرض وتجميع للقبلة في مكان واحد .

(1) ينظر الوسيط في الحضارة الاسلامية :عماد الدين خليل ،فايز الربيع، ص 159 – 160.
(2) معالم التاريخ وحضارة الاسلام :عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، ص 308 .

- كما كان تخطيط المدن يراعي عدة جوانب سواء كانت عمرانية أو اقتصادية أو اجتماعية حيث يبدأ التخطيط باختيار الموقع الذي تتوفر فيه سعة المياه العذبة واعتدال المكان وجودة الهواء، والقرب من المرعى والإحتطاب، وتحصين منازلها وأن يحيط بها سور يعين أهلها وسلطان صالح (1) .

2-3- المساجد : يحتل المسجد مكانة خاصة في الحياة الدينية والإجتماعية والسياسية عند المسلمين، وهو من أقدم الأبنية التي اهتم بها المسلمون، فعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستقر بها اتخذ له مسجدا كان المركز العام للمسلمين (2) .

- تجردت زخارف المساجد من كل ما هو مادي، فسادت الزخرفة النباتية والهندسية والكتابية جميع عناصرها المعمارية، وكانت الزخرفة النباتية تنحو نحو تقليد الطبيعة، ولكنها لم تلبث بفضل التطور الذي أبعدها عن خصائصها الأولى، وأصبح تمييز الفصائل النباتية التي استخدمها الفنان أمرا من العسير تحقيقه، فورقة الأكنئس المعروفة بشوكة اليهود وورقة العنب ومرا وح النخيل هي المقومات التي تعتمد عليها الزخرفة النباتية الإسلامية (3) .

- ومن المساجد الهامة نذكر على سبيل المثال :

(1) ينظر الوسيط في الحضارة الاسلامية :عماد الدين خليل، فايز الربيع، ص 161 – 162.
(2) ينظر المرجع في الحضارة العربية الاسلامية: ابراهيم سلمان الكروي ،ص 490.
(3) ينظر تاريخ الحضارة الاسلامية: السيد عبد العزيز سالم ،ص 31.

1/ مسجد الرسول : يعتبر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد الرئيسي والأساس الذي سار عليه تخطيط المساجد الإسلامية، وكان انشاء المسجد أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد استقراره في المدينة، وكان ملاصقا لمنازله.

- يتكون المسجد من رحبة تحيط به جدران من جهاتها الأربع، وطول كل جدار حوالي سبعين ذراعا (1) .

- بنيت جدرانه من اللبن، وفتحت فيه ثلاثة أبواب وكانت أعمدته من جذوع النخيل وسقفه من الجريد، وقيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم بناه مرتين وزاد في مشرقه ومغربه .

- وظل مسجد الرسول في عهد أبي بكر، وفي السنوات الأولى من عهد عمر بن الخطاب على ما كان عليه، فلما زاد سكان المدينة أمر عمر رضي الله عنه بالزيادة فيه ثم زاد عثمان في مساحته، وعندما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك أمر بتحديد عمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وضم حجراته إليه، ومن بينها الحجرة التي دفن فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما (2) .

2/ مسجد قبة الصخرة : تعتبر قبة الصخرة من أروع العمائر الدينية التي أقيمت في بيت المقدس في العصر الأموي، أنشأها الخليفة عبد الملك بن مروان في سنة

(1) ينظر المرجع في الحضارة الاسلامية :ابراهيم سلمان الكروي ،ص 491.
(2) ينظر معالم التاريخ وحضارة الاسلام :عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، ص 308.

72هجري في وسط الحرم الشريف، وكانت هذه البقعة موقع احترام المسيحيين واليهود والمسلمين على السواء (1).

مسجد قبة الصخرة المشرفة بناء مضلع تعلوه قبة، وهو تحفة فنية نادرة ويمتاز بخصائص منها:

- يعد من أقدم المنشآت الإسلامية الأموية، وهو البناء الإسلامي الأكثر قدما والذي لا يزال محتفظا بملامحه الأصلية على الرغم من الإضافات والإصلاحات .

- إنه المسجد الوحيد بشكله ومخططه المثمن.

- إن هذه القبة أنشأت على صخرة مقدسة وقدسيتها ترجع إلى حدثين :

الحدث الأول : أن ابراهيم الخليل عليه السلام قد هم بذبح ولده قربانا لله، فافتداه الله بكبش .

الحدث الثاني : هو المعراج، فهي الصخرة التي عرج منها الرسول صلى الله عليه وسلم على براقه إلى السماء (2).

- لقد غدت قبة الصخرة نموذجا في الفن المعماري، وعلى طرازها بنيت قباب كثيرة في المساجد والقصور لبنائها الفريد واللافت للانتباه .

(1) تاريخ الحضارة الإسلامية: السيد عبد العزيز سالم، ص 328.
(2) ينظر الحضارة العربية الإسلامية: سلامة صالح نعيمات، نوفان رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، ص 326.

3/ مسجد الجامع بدمشق : ويعتبر من أشهر الجوامع في دمشق، بني في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بين عامي 88 و 96 هجري، وكان شكله مستطيل طوله 160 متر وعرضه 100 متر، وفي جهة القبلة بيت للصلاة يبلغ عرضه 36 متر وارتفاعه حوالي 11 متر، وهو يقوم على أعمدة فيها عقود متعددة، أما الجوانب الشرقية والغربية والشمالية من الجامع فيحيطها رواق كسيت جدرانه بالمرمر الملون (1) .

- يعد العصر المملوكي في مصر العصر الذهبي في تاريخ العمارة الإسلامية، فقد روعي في بناء المساجد تصميم المدارس والأضرحة بدون أن يترك تصميم الجوامع ذات الإيوانات والعمد، فنرى مثلا: جامع السلطان الظاهر بيبرس الذي شيد عامي 665 و 687 هجري أنه مربع تقريبا، وأن قوام تصميمه صحن تحيط به أربعة ايوانات أكبرها إيوان القبلة (2) .

3-3- المدارس : وهي منشأة مصلبة أو مربعة الشكل تضم مساكن للطلاب، والمعلمين، وساحات للدراسة، ويعلوا هذه المنشأة قبة (3).

- اقترنت الدعوة الإسلامية من البداية بالتعليم باعتباره من الضرورات اللازمة لتطور الإنسانية، ولأنه ركيزة أساسية لتحقيق التربية الصحيحة التي كانت تهدف إليها الدعوة الإسلامية، وتعتبر أول آية نزلت تحث طلب العلم

---

(1) المرجع في الحضارة العربية الإسلامية: ابراهيم سلمان الكروي ،ص 492.
(2) المرجع نفسهٍص 494.
(3) الحضارة العربية الإسلامية :سلامة صالح نعيمات، نوفان رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، ص 329.

يقول الله عز وجل: " اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الذِي عَلَمَ بِالْقَلَمِ، عَلَمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ "(1)

- لما كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فقد اهتم المسلمون في عمارة المدارس، وكانت المساجد في العصر الإسلامي الأول مراكز للتدريس ومن أبرز المدارس العربية الإسلامية نجد :

أ- المدارس المستنصرية : بناها المستنصر بالله أبو جعفر المنصور العباسي سنة 265 ه وكمل بناؤها سنة 630 هجري على ضفة نهر الدجلة الشرقية في بغداد ولا تزال هذه المدرسة حتى الآن، ورممت وجددت، وتعتبر هذه المدرسة النموذج الأمثل الجامعي في المدرسة العربية الإسلامية ببنائها ونظم التدريس فيها .

- وقد عنيت هذه المدرسة بدراسة علوم القرآن والسنة النبوية والعلوم العربية والرياضيات والفرائض والزكاة ومنافع الحيوان وعلم الطب وحفظ قوام الصحة وتقويم الأبدان في آن واحد (2).

- وقد ألحقت بالمدرسة دار القرآن ومدرسة الطب بالإضافة إلى وجود مكتبة ودار الحديث.

- إن عدد الطلاب في المدرسة 248 طالب إضافة إلى الأساتذة والمعيدين، وقد زينت المدرسة بعناصر زخرفية كثيرة على شكل حشوات محفورة مزينة بالعناصر النباتية

(1) سورة العلق الآية 03 – 04 – 05.
(2) المرجع في الحضارة العربية الإسلامية :ابراهيم سلمان "كروي، ص 496.

والهندسية في المدخل وبيت الأواوين وفوق عقود السقوف وبواطن العقود وواجهة المسجد والمحراب، إضافة إلى وجود عناصر معمارية أخرى كالدعامات والسواري والعقود المدنية والسقوف المقببة وعلى جدارها المواجه لدجلة نجد شريط من الكتابة يؤرخ بناء المدرسة وقد حدثت عليه تغيرات أضيفت في فترات متباعدة (1) .

ب- المدرسة الظاهرية : أسسها الملك الظاهر بيبرس بالقاهرة سنة 660 هجري على نمط المدارس التي بنيت في عهد الدولة الأيوبية، وكانت عبارة عن بناء متجه إلى القبلة وفي وسطه صحن كبير مربع، وفي كل جانب من جوانبه الأربعة يعلوه قبة تحتها محراب، ومن ثم كانت المدرسة لا تخرج عن كونها مسجد (2).

وهناك نوع من المدارس العسكرية ظهرت في عصر المماليك وهي الطباق التي كان يتعلم فيها المماليك القراءة والكتابة والقتال وفنون الحرب، وكان مركزها القلعة (3) .

- يتجلى فن البناء والمعمار في بناء المساجد وازدهار المدن والمدارس النموذج الأمثل الذي بلغه فن البناء والعمارة للحضارة العربية الإسلامية .

4 – فن الزخرفة : تعتبر الزخرفة من أبرز ما استخدم لتزيين الجدران والأسقف والأواني الفخارية والألبسة لما تحتويه من عناصر تشكيلية، كما تميزت الحضارة الإسلامية بزخارفها والتي أعطت للفن الإسلامي طابعه الخاص، وأضافت إليه

(1) المرجع السابق ص 496 – 497.
(2) معالم التاريخ وحضارة الإسلام :عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ،ص 310.
(3) تاريخ الحضارة العربية الإسلامية :السيد عبد العزيز سالم ،ص 365.

جمالية وروعة في الشكل والأداء (1) .

- زينت المساجد والمدن والقصور التي شيدت في العالم العربي الإسلامي بزخارف متعددة في تيجان الأعمدة والمحاريب والجدران، وقد بدأ الاهتمام بالزخارف منذ عهد مبكر.

وقد تطورت الزخارف الإسلامية وبالذات التفريعات النباتية ومناضر الصيد وصور الحيوانات، كما زخرفوا بالفسيفساء التي تمثل رسوم أشجار الفاكهة إضافة إلى تفريعات نباتية .

ومن أهم فنون الزخرفة نجد:

4-1- الحفر على الرخام : لقد حقق الفنان العربي في هذا المجال إلى حد كبير، ومن أفضل الأمثلة ما وجد في قبة الصخرة والجامع الأموي من عصر بني أمية، حيث زينت هذه العمائر بالعناصر النباتية المختلفة المحفورة.

- ومن الأمثلة العباسية في الحفر على الرخام محراب جامع الخاصكي في بغداد، وقد امتدت هذه الصناعة إلى بلدان المغرب العربي حتى الأندلس، ومن أمثلة الأندلس ما كان موجود في مدينة الزهراء من أثار (2) .

- لقد حقق الفنان العراقي في الموصل وقصور بغداد وسامراء والأنبار في العصر العباسي رسوما وزخارف على الحفر في الرخام في غاية العظمة والروعة، كما وجد في المتحف العراقي محاريب محفورة من الرخام الملون بالأزرق والأبيض والصرف (3).

---

(1) ينظر الفنون الإسلامية :إياد الصقر، ص 55.
(2) المرجع في الحضارة العربية الإسلامية :ابراهيم سلمان الكروي ،ص 497.
(3) ينظر الفنون الإسلامية: إياد الصقر، ص 122 .

4-2- الحفر على الخشب والعاج والعظام : اهتم المسلمون بالحفر على الخشب والعاج والعظام، وقد اتبعوا في بداية العصر الإسلامي ما كان سائدا قبل الإسلام في هذا الميدان، ومن هذه الأمثلة زخارف المساند الخشبية بالمسجد الأقصى من العصر الأموي.

- أما العصر العباسي فيمثله منبر جامع القيروان في الحفر على الخشب ،حشوة خشبية مستطيلة الشكل ترجع إلى هارون الرشيد، وازداد الاهتمام بالحفر على الخشب في العصر الفاطمي، كما ازداد الاتقان فيه في العصر المملوكي، ويظهر ذلك في مصراع باب في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

- أما الحفر على العاج والعظام فقد عثر في مدن مصر القديمة، ومنها الفسطاط، أما تحف العصر الفاطمي فتشبه إلى حد ما أساليب الحفر على الخشب لما كان سائدا في مصر، واستمرت الأساليب نفسها في العصرين الأيوبي والمملوكي، أما في الأندلس فقد عرفت صناعة الحفر على العاج واهتم بها الأمراء والحكام، أما التحف العاجية فقد عثر عليها جنوبي إيطاليا وجزيرة الصقيلية (1).

4-3- الفسيفساء : لقد وجدت فكرة الفسيفساء منذ العصور الحجرية، باستخدام قطع حجرية للترصيع، ويعتقد أن اليونان قد طوروا هذا الفن ببناء على تأثير آشوري، ومن أقدم الأرضيات الفسيفسائية تلك التي عثر عليها في الإسكندرية والتي تعود للعصر الهلنستي (الإغريقي)، أما أقدم أرضية فسيفسائية في الأردن فقد اكتشفت في حمام القصر الذي بناه هيرودوس (2).

---

(1) المرجع في الحضارة العربية الإسلامية: ابراهيم سلمان الكروي ،ص 498 – 499.
(2) الحضارة العربية الإسلامية :سلامة صالح النعيمات، نوفان رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، ص 351 .

- اهتم العرب المسلمون في صناعة الفسيفساء وأبدعوا فيها لتزيين العمائر والمقصود بالفسيفساء الموضوعات الزخرفية المؤلفة تجمع أجزاء صغيرة ومتعددة الألوان من الزجاج والحجر وتثبت بعضها إلى بعض فوق الجص أو الإسمنت، ومن هذا تتكون الموضوعات الزخرفية وقد تكون هذه الموضوعات هندسة أو رسوم كائنات حية أو نباتية (1) .

- استعمل الفنان العربي المكعبات الزجاجية الصغيرة والملونة الشفافة وغير الشفافة والجمع معها في بعض الأحيان المكعبات الحجرية والصدفية، واستعمل المكعبات ذات اللون الذهبي والفضي ولكنه جعلها مائلة قليلا لتعكس الضوء ومن أمثلة الفسيفساء من العصر الإسلامي فسيفساء قبة الصخرة وفسيفساء المسجد الجامع في دمشق.

- كانت الفسيفساء تغطي الجدران الخارجية في قبة الصخرة، وما زال معظمها محفوظا منها فسيفساء التي تغطي بعض الأجزاء الداخلية والتي يرجع تاريخها إلى سنة 72 هجري، كما تشهد بذلك الكتابة بالخط الكوفي البسيط بالفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء.

- أما فسيفساء الفناء الخارجي للجامع الأموي في دمشق فإن معظمها أصابه التلف بسبب الحرائق المتعددة التي أصابت المسجد، وقد كشفت بعضها وكانت مغطاة بالبلاط وقوام موضوعاتها رسم نهر على صفة رسوم أشجار تطل على منظر طبيعي فيه رسوم عمائر من أشجار وغابات (2) .

---

(1) المرجع في الحضارة العربية الإسلامية :ابراهيم سلمان الكرمي ،ص 499.
(2) المرجع نفسه، ص 500.

5 ـ مظاهر الحضارة الإسلامية في مجال العلوم :

حققت الحضارة الإسلامية في ميادين ازدهارها أكثر من انجازات في ميادين المعرفة المختلفة خصوصا في مجالات الرياضيات والفلك والطب والعمارة والجغرافيا والفيزياء والهندسة وللحديث عن هاته المنجزات يتطلب تبيان المسألتين التاليتين :

الأولى : منهج البحث الذي نهجه المسلمون في العلوم

الثانية : العلوم التي قدمها العلماء المسلمون (1) .

أولا : منهج البحث

إن من يتلوا القرآن الكريم ويتأمل آياته يدرك إلى أي مدى كانت دعوة القرآن الكريم إلى العلم وتحصيل المعرفة، ويدرك كذلك أن القرآن الكريم قد رسم للمسلمين المنهج الحق في اليمن في الفكر والعلم، مما كان له الأثر البالغ في الثروة الفكرية والثروة العلمية اللتين تفخر بهما الحضارة الإسلامية على سائر الحضارات.

ومن حيث منهج البحث الفكري فإن القرآن الكريم قد دعا إلى المنهج الذي يوافق العقل وأحكامه وهو منهج يقوم على الحجة والبرهان والدليل العقلي، ولا صحة لشيء إلا بالدليل أو البرهان العقلي،وهو منهج يقوم كذلك على التثبيت من النقل وعلى الفقه بقواعد فهم النصوص القرآنية والنبوية، وقواعد استنباط الأحكام

(1) ينظر الكتاب في الحضارة الإسلامية : يحيى وهيب الحيوري، دار الغرب الإسلامي ،ط 1، ص 17 .

منها، وضوابط القياس مما هو معروف في علم أصول الفقه مما لا يتوفر في أي دين آخر أو نظرية وضعية.

وأما المنهج البحث في العلم فهو منهج دعا إليه القرآن الكريم في كثير من آياته واتسعه العلماء المسلمون في مجال العلوم التجريبية قال تعالى: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءا فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانها كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور" (1)

ثانيا : العلوم التي قدمها العلماء المسلمون

في إطار منهج البحث العلمي عمل المسلمون في ميادين الطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك والجغرافيا وهم يعلمون أنهم في عبادة عظيمة يثابون عليها أعظم الثواب ما داموا باحثين في هذه العلوم، ومن أجل ذلك حالفهم التوفيق فألفوا واخترعوا، وكانوا سادة العالم في هذا المضمار فهذا غوستاف يقول في كتابه "حضارة العرب" : "لم يكن العرب يتمون فتح اسبانيا حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة عليها، فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيوا مبنى الأرض ويعمروا حزب المباني، ويوطدوا وثيق التجارة، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب (2)

5-1- الطب : من العلوم التي اهتم بها المسلمون اهتماما بالغا، وكان لهم فيه منجزات عظيمة، حيث تفوق العرب في فنون الشفاء التي كانت معروفة في مصر القديمة

(1) نظرات في الثقافة الإسلامية:عز الدين الخطيب التميمي ،ص 281 – 280.
(2) المرجع نفسه، ص 280

وبلاد ما بين النهرين وكانت مؤلفات الرازي المتقدمة في الطب مرجعا للأوربيين حتى وقت متأخر من القرن السادس عشر الميلادي، كما ظل الأوربيون حتى القرن السابع عشر يتعلمون من نظريات ابن سينا الطبية، وكان ابن سينا أول من أشار إلى الطب العقلي، وما أصبح فيما بعد أساسا لعلم النفس، واشتهر عند العرب أيضا أمر التداوي بالأعشاب والمواد الطبيعية (من ثوم ومرو عصر جلاب وماء الزهر) فكانت تزخر بها صيدلياتهم ومنها انتشرت إلى الشرق الأوسط في أروبا (1) .

5-2- الجغرافيا : كان للعرب تأثير كبير على الغرب، وقد أخذ العرب من الكنعانيين أسياد البحر، ومن قدامى المصريين، وما أعانهم على تطوير البوصلة، وبرع الإدريس في القرن الثاني عشر الميلادي بابتكاراته ومكتشفاته، حيث وضع أول أطلس في العالم حاويا سبعين خريطة، بعضها لمناطق لم تكن معروفة من قبل، وكانت رحلات ابن بطوطة وتدويناته خير معين للأوربيين على معرفة مناطق جغرافية لم يكونوا يعرفونها، وفي القرن السادس عشر تمكن حسن الوازن من كشف مجاهل إفريقيا ويدين له الغرب بذلك، ويعرف عندهم باسم ليون الإفريقي وفي رحلات فاسكودي جاما الشهيرة كان الملاح العربي أحمد بن ماجد هو البحار الرئيسي في القيادة، ويقال إن كريستوف كولمبس كان يتكل على بحار عربي في توجيه حملته البحرية التي أدت إلى اكتشاف أمريكا.

5-3- الفلسفة : نقل المفكرون العرب أهم مصادر الفلسفة المشرقية واليونانية القديمة

(1) الوسيط في الحضارة الإسلامية:عماد الدين خليل، فايز الربيع ،ص 141.

ترجمة وتطويرا، فاشتهر الكندي بتطوير فلسفة أفلاطون وأرسطو، والفارابي بفكرة المدينة الفاصلة، وابن سينا بفلسفته العقلية، وابن خلدون بنظرياته الاجتماعية التي لا تزال حتى اليوم في نسيج هذه اللغات الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية، الإيطالية، الألمانية، وقد أثرت مؤلفات عربية مثل حي بن يقظان لابن طفيل، وألف ليلة وليلة، ومقدمة ابن خلدون في الفكر الغربي (1) .

5-4- الرياضيات : إهتم المسلمون بالرياضيات وبرعوا فيها، وبفضل ما قدموه من ابتكارات كانوا بحق مؤسسي علم الرياضيات، فهم أول من حدد تعريف هذا العلم وقالوا إنه علم غرضه إدراك المقادير، وأطلقوه على الحساب والجبر والهندسة والمثلثات. وإلى القرآن الكريم يعود نشاط المسلمين في هذا العلم، فقد أشار القرآن الكريم العقل الإنساني وجعل معرفة هذا العلم وسائر العلوم فرضا على الكفاية لإرتباطها بحياة المسلمين الدينية والدنيويه، فقد كانوا في حاجة إلى الحساب والجبر لحساب المواريث، والفرائض وغيرها، وإلى الهندسة لبناء المساجد وتحديد القبلة وإلى المثلثات لبناء المآذن والمنائر والجسور وتخطيط المدن وغيرها، وفيما يلي عرض إلى بعض منجزات المسلمين ومآثرهم في الرياضيات (2).

5-5- الحساب : أول من أطلق العلم الحساب هم المسلمون على لإرتباطه بشؤون دينهم ودنياهم، وكانوا يوصون بتعلمه ويقولون "ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام خراجكم"، ومن مآثرهم فيه أنهم وضعوا نظام الترقيم العشري

(1) المرجع السابق، ص 141.
(2) ينظر معالم تاريخ وحضارة الإسلام :عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، ص 293.

وهو المستعمل الآن وأنهم أول من إستخدم الصفر ورمزوا له "بنقطة" ويعد الصفر أساس كل تكنولوجيا الحديثة التي تعتمد على الكمبيوتر وباستعمال الصفر صار المسلمون مؤسسي علم الحساب كما يقول كارادينو ، ومن مآثرهم أنهم كانوا يكثرون من الأمثلة والتمارين في مصنفاتهم ويأتون بمسائل عملية تتناول ما كان يدور بينهم من معاملات، ومن منجزاتهم ومآثرهم العظيمة غير الصفر وضع الجداول اللوغاريتمان وإلى الخوارزمي يعود الفضل في ذلك وإليه نسبت، ومن العلماء الذين إشتغلوا بالحساب غير الخوارزمي هو أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي ومن أهم مصنفاته الكافي في الحساب، وغياث الدين الكاشي صاحب كتاب "مفتاح الحساب".

5-6- الجبر :إشتغل المسلمون في الجبر وكان الباعث على ذلك حاجتهم إليه في الفرائض وتقسيم الإرث وغير ذلك من شؤون حياتهم اليومية، ولقد أتو فيه بالعجب العجاب حتى أن كاجوري يقول: "إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله المسلمون في الجبر" والمسلمون هم أول من أطلق لفظة الجبر على هذا العلم من ألف فيه بصورة علمية منظمة، ومن آثارهم في الجبر أنهم وضعوا المعادلات المركبة واستخرجوا الجذور وإستعملوا الرموز فسبقوا الغربيين أمثال ديكارت وستيفن وهم أول من جمع بين الحساب والجبر والهندسة، فكانوا واضعي أساس علم الهندسة التحليلية وإليهم يرجع الفضل في نشأة علم التفاضل والتكامل (1) .

5-7- علم الهندسة : رأى المسلمون في الهندسة فائدة قيمة يقول ابن خلدون: "وأعلم

(1) ينظر الحضارة العربية الإسلامية: اسحاق رباح، سليمان أبو سويلم ،ص 214 .

أن الهندسة تفيد صاحبها في عقله وإستقامه في الفكر، لأن براهينها كلها بينة الإنتظام جلية الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها". وقد ركز العلماء المسلمين على الهندسة التطبيقية، ويتجلى هذا بوضوح في مؤلفات إبن الهيثم كمقالته في استخراج "سمت القبلة" ومقالته فيما تدعوا إليه حاجةالأمور الشرعية من الأمور الهندسية كعمارة المساجد والجوامع، وفيما يدعوا إليه حاجتهم في دنياهم كتشييد القصور وتخطيط المدن وبناء القلاع والحصون وماله علاقة في مجالات العمران والبناء والفنون والصناعة (1) .

5-8- علم الفلك : شهد علم الفلك ظهور لإسطرلاب العربي الذي أوجده العماء المسلمين لتحديد أوقات الفجر والمغرب والصوم، ثم طوروه فإكتشفوا خطوط الطول والعرض وسرعة الصوت والضوء، حتى أصبح ذلك مرجعا لعلماء الغرب، وتمكن السيروني من إكتشاف دورات الأرض حول الشمس وهو ما أثبته جاليليو بعد ستة قرون، وترجم الفلكيون العرب الرزقالي والفرغاني والفزاري مؤلفات بطليموس في الفلك وأضافوا إليها ما بات مرجعا بعدهم للفلكيين الغربيين (2) ،

5-9- العلوم الدينية : أخذت العلوم الدينية المكان الأول لإرتباطها بالإسلام، وعرفت كذلك بالعلوم الشرعية أو النقلية لأنها مستمدة من الدين أو منقولة عنه وهذه العلوم هي :

أ- علم التفسير : وهو العلم المفسر للقرآن، وكان العرب يفهمون القرآن آيات نزوله

(1) ينظر الحضارة العربية الإسلامية: ابراهيم سليمان أبو سويلم، ص214
(2) الموسوعة العربية العالمية

لأنه لسان عربي مبين، وقد يفسر لهم النبي صلى الله عليه وسلم الأحكام التي يتعذر عليهم فهمها، ولما أصبح المسلمون من غير العرب في حاجة إلى من يفسر لهم القرآن وضعت كتب التفسير، وقد اعتبر التفسير في صدر الإسلام جزءا من الحديث أو فرعا من فروعه، ومن أشهر المفسرين إبن جرير الطبري وتفسيره الجامع البيان في تفسير القرآن والزمخشري وتفسيره الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وفخر الدين الرازي وتفسيره "التفسير الكبير".

ب- علم القراءات : من العلوم الدين التي تبحث في كيفية قراءة ألفاظ القرآن، وذلك لأن اختلاف لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة أوجد إختلافا في النطق بحروف القرآن، ثم إن القرآن يشتمل أصلا على ألفاظ القبائل العربية المختلفة بما فيها من عدنانية وقحطانية وإن كانت ألفاظ قريش هي الغالبة، ولذلك إتفق على قراءات معينة، وقد أصبحت هذه القراءات علما مدونا توضع فيه المصنفات (1) .

ج- علم الحديث : الحديث هو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وللحديث علاقة قوية بالقرآن لأن الحديث يفسر ما ورد في القرآن ومن أجل هذا كان إهتمام المسلمين بتدوين علم الحديث، وكان بعض المسلمين يفضلون أن يبقى الحديث محفوظا في الصدور وألا يجمع كالقرآن خوفا من اختلاف الحديث بالقرآن، وينسب إلى عمر بن عبد العزيز أنه هو الذي دون الحديث لأول مرة، ومن ذلك الوقت أقبل المسلمون على جمعه وتدوينه، ومن أشهر جامعي الحديث

(1) الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون: اسحاق رباح، سليمان أبو سويلم ،ص 163 .

محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (1) .

د- علم الفقه : أو علم الأحكام الشرعية في مسائل العبادات والمعاملات والحدود، ولم يظهر الفقه كعلم في بادئ الأمر لوجود الصحابة والتابعين، ولكن لما تعددت المشاكل وبعد العهد بظهور الإسلام إحتاج الأمر إلى ضبط الشرع، فظهرت عدة طرق فقهية تمثلت في المذاهب السنية الأربعة هي : مذهب الإمام أبي حنيفة، ومذهب الإمام مالك بن أنس، ومذهب الإمام الشافعي، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل، ومن العلوم الدينية أيضا علم الكلام وهو يتناول العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، ولم يظهر هذا العلم بظهور الإسلام ولكنه ظهر لما انتشر الإسلام بين الشعوب المتحضرة (2) .

6 – الألبسة :

تخلى العرب بعد الفتوحات عن ثيابهم البدوية الخشنة، أو الأقبية الطويلة المربوطة في وسطها بالزنانير والصابرات التي يرتدونها فوق الأقبية، وأقبلوا على التأنق في اللباس متأثرين بالحياة الحضارية في البلاد المفتوحة، حيث ازدهرت صناعة النسيج في البلاد الإسلامية وعرفت مصانع النسيج بالطراز، والطراز كلمة فارسية الأصل مشتقة من ترازيدان بمعنى التطريز وعمل المديح أو الزخرفة التي تزين الثوب.
ولقد أورد لنا المقري بيتين من الشعر كانا مطرزين في ثوب ولادة بنت المستكفي بالله بالأندلس

(1) ومضات من الحضارة العربية الإسلامية: ناهض عبد الرزاق، دفتر القيسي، ص 200.
(2) المرجع نفسه، ص 201 .

الطراز الأيمن نصه :

أنا وَاللهِ أصْلَحُ لِلمَعَالِي وَأمْشِي مِشْيَتِي وَأتِيهُ تِيهًا

والطراز الأيسر:

وَأمْكَنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدِي وَأعْطِي قُبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا

لقد عرفت مصانع المنسوجات قبل الإسلام، فكانت في عصر البطالسة والرومان تسمى "جنسيوم" وهي التي تمد الإمبراطور ورجال بلاطه بما يحتاجون إليه من أقمشة (1) .

وكانت مصر قبل الإسلام مشهورة بصناعة النسيج، وقد أبدع الأقباط في ذلك حتى سمي النسيج المصري باسم قباطي، وفي الإسلام شاعت في العراق صناعة نوع من النسيج الحريري إختصت بصناعته محله العتابية ببغداد، كما عرف نوع من الحرير الرقيق الشفاف يسمى الموصلي، وشاع في فارس الحرير الأصفهاني، أما مالقه وغرناطة فاشتهرتا بصناعة الموش بالذهب، وعرفت في بلاد المغرب الثياب والعمائم السوسية المشهورة التي كانت تحمل إلى الآفاق، واختصت عدن بصناعة الشروب، واشتهرت اليمن بصناعة البرد و دمشق في الشام بصناعة الموشى بالذهب وبيروت بصناعة الحرير.

ونتج من تعدد شعوب الدولة العربية واختلاف تقاليدها في القرن الثالث أن تنوعت أزياؤهم في اللباس، فاختلف الأقوام ومهنهم وطبقاتهم الاجتماعية وعبر عن ذلك الجاحظ بقوله:" لكل منهم زي فللقضاة زي ولأصحاب القضاء زي وللشرطة زي وللكاتب زي ولكتاب الجند زي"

(1) الحضارة العربية الإسلامية: سلامة صالح النعيمات، نوفان رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، ص 276.

وقال: "وكان لحرائر النساء زي والمماليك زي والأمراء زي" (1) .

- وظهر تأثير التأثير الفارسي في الملبس، سواء أكان في ملابس الرجال كاستعمال القلانس والأقبية والسراويل والجوارب، أم في ملابس النساء اللواتي أكثر من استعمال الحلي والمجوهرات والأحزمة وغيرها، كما ظهر تأثير التركيبات في التأنق في الملبس وإستعمال أدوات التجميل وإبتكار الأزياء.

وتنقسم أزياء الرجال والنساء بشكل عام إلى لباس الرأس ولباس البدن وهذه الأزياء:

1/ العمامة: هي لباس الرأس عند العرب منذ العصر الجاهلي، ولهذا قال عمر بن الخطاب: "العمائم تيجان العرب" فهي تدفئ من القر وتقي من الأحداث وتزيد في القامة.

وكان لكل طائفة عمامة، فللخلفاء عمة وللفقهاء عمة وللأعراب عمة وللروم عمة والنصارى عمة وكانت العمامة عادة بيضاء اللون معمولة من الشاش الموصلي، إلا أنها قد تعمل من أقمشة أخرى من ألوان مختلفة، وأضخم العمائم عمامة القضاة، وليس العلويون العمائم الخضراء كما أختص الخلفاء بالرصافية، وهي عمامة سوداء يلبسونها عن توليهم الخلافة ويمكن أن تعد من مراسيم البيعة، وتتخذ الرصافية من نسيج رقيق كالحرير والخز والقصب والوشي (2) .

2/ الطيالسة : (جمع طيلسان) الطيلسان ثوب معين يتخذ بأشكال مختلفة فقد يلبس على الكتف وقد يحيط بالبدن، فلما شاع لبس الطيلسان وزاد إهتمام الناس به أصبح

(1) المرجع السابق، ص277
(2) المرجع نفسه، ص 278.

هناك نوعان: طيلسان مربع يجعل على الرأس كالعمامة أو القلنسوة ويغطى به أكثر الوجه ثم يدار طرفان منه تحت الحنك إلى أن يحيط بالرقبة جميعا ثم يطرحان على الكتفين، وسمي هذا النوع بالطيلسان المحنك وهو نوع شاع استخدامه في صلوات الجمعة والمحافل، والنوع الثاني فهو الطيلسان المقور الذي اعتبر لبسه مكروها وكان على أشكال منها المدور والمثلث والمربع المسدول، ويختلف هذا الطيلسان عن المحنك في كونه يوضع على الرأس ويرسل طرفاه على الصدر من دون أن يدار من تحت الحنك، كما أن طرفيه الملفوفين يرسلان من وراء الظهر والسبب في كراهة لبس هذا النوع من الطيلسان في رأي بعض الفقهاء يرجع إلى كونه من شعائر اليهود، ولأن فيه السدل المكروه في الصلاة (1) .

3/ القلنسوة : هي الطاقية التي تلبس تحت العمامة وتمسك بالرأس وهي مظهر من مظاهر كمال الرجولة عند العرب، فقد روي عن علي رضي الله عنه قوله: "تمام جمال المرأة خفها وتمام جمال الرجل في ملته" (أي قلنسوته) وكانت تسمى بأسماء المناطق التي تصنع فيها، وقد وجدت في العصر العباسي قلانس مستديرة تعرف بالدنية لأنها تشبه الدن، والقلانس الدورقية لشبهها بالدورق والقلانس الشاشية الطويلة، والشاشية نسبة إلى الشاش من بلاد ما وراء النهر قريبة من الطربوش الحالي وأول من لبسها الخليفة المعتصم العباسي، ونسبت إليه فسميت "الشاشة المعتصمة" وقد لبسها كبار القوم خالية من الأشرطة، بينما كانت شاشات الخدم مشرطة، وكانت قلانس القضاة تتخذ من الفراء أو اللباد أو من القماش السميك

(1) تاريخ الحضارة الإسلامية: السيد عبد العزيز سالم ،ص 188 .

كالصوف والكتان، أما قلانس الخلفاء فكانت سوداء اللون.

- وكان هناك نوع طويل من القلانس لبسه الخلفاء والقضاة والأمراء والوجهاء وأهل الأبد وقد نقلها أهل أوربا إلى مجتمعاتهم بعد اتصالهم بأهل الشام أيام الحروب الصليبية (1) .

4/ الدراريع : (جمع دراعة أو مدرعة) وهي جياب مشقوقة من الصدر، وتصنع من الصوف أو الديباج الموش أو الديفي، وكانت اللباس الرسمي للكتاب، ثم شاع استخدامها حتى لبسها الخلفاء والوزراء وعامة الناس، فالرشيد عندما خرج للغزو في الأراضي البيزنطية لبس دراعه قد كتب على ظهرها "حاج" وعلى صدرها "غاز"، والربيع بن يونس عندما ولاه المنصور خطة العرض كان يلبس دراعه وطيلسان، وادريس بن عبد الله بن الحسن يوم فر إلى مصر فالمغرب لبس مدرعه صوف خشنة (2).

5/ الطرحة : وهي من أغطية الرأس وتضع من الشاش الموصلي وتلف على العمامة أو تطرح على الكتفين فقط فتتدلى على الظهر، وهي بهذا شبيهة بالطيلسان وكانت خاصة بالقضاة وهي شعارهم، وقد لبسها الخلفاء أحيانا وكان لونها أسود (3).

6/ القناع : وهو نوع من القماش يضعه الجنسان على الرأس، كما تستخدمه النساء خمارا للوجه الخروج من المنزل أو تستخدمه المرأة غطاء تضعه على رأسها وتحيط

(1) الحضارة العربية الإسلامية: سلامة صالح النعيمات، نوفان رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، ص 279.
(2) تاريخ الحضارة الإسلامية: السيد عبد العزيز سالم ،ص 187.
(3) الحضارة العربية الإسلامية:سلامة صالح النعيمات، نوفان رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، ص 280.

به رقبتها، أما الرجال فكانوا يتخذونه للتنكر وكان من عادة الفرسان استخدامه في المواسم والجموع.

7/ الثوب : وهو ملبوس للرجال والنساء واسع فضفاض، ويصنع من القطن أو الكتان أو الحرير أو الصوف وثياب الوشي هي من الحرير الخالص.

8/ القميص : هو ثوب يلبس فوق السروال وله كمان واسعان للغاية ويهبطان إلى المعصم ويتدلى القميص إلى منتصف الساقين، يصنع قميص الرجال من القطن أو الكتان أو الحرير أو الشاش الموصلي ويكون أبيض اللون ويزركش المترفون حواشي قمصانهم ويطرزون فتحاتها، أما قمصان النساء فتكون من الحرير أو القطن الرفيع أو الشاش الموصلي ويلبس القميص عادة تحت الرداء.

9/ السروال : كان يرتديه الناس عموما رجالا ونساءا، والسروال يستر أسفل الجسم ويكون واسعا طويلا، وكان الأمراء والولاة يتخذون سراويلهم من الوشي، ويعد السروال من الملابس الظريفات من النساء لاسيما الجواري والقيان والراقصات، والسروال لباس غير عربي.

10/ الرداء : وهو نوع من الملاحف يلتحف به أو يرتدى كلباس مفصل على الجسم، وقد شاع لبسه بين أفراد مختلف طبقات الناس، ويعمل من القماش الصوفي المخطط أو من الحرير وتكون فتحته عند الصدر دائرية مطرزة بزخارف ونقوش، وكان الأطباء والعلماء يرتدون نوعا من الأردية تغطي الجسم، وقد يكون الرداء ملونا، وكانت النساء يلبسن أردية محلاة بالكتابة على أكمامها.

11/ القباء : ويسمى القفطان أيضا ويعمل من الحرير وقد لبسه الخلفاء والأمراء والوزراء والجند، وقد ارتدى خلفاء بني العباسي وموظفوهم الأقبية السوداء اللون (1).

7 – الخط العربي :

وقد بلغت الحضارة العربية الإسلامية في كافة الحقول وظهر أثرها واضحا في أوربا ففي مجال الخط العربي حيث قلدوه في أوربا ونقشوه على أبواب أشهر كنائسهم مثل كنيسة توتردام في باريس، والملك روجز ملك صقلية كان قد وشح عباءته بالخط الكوفي الجميل وقد استخدم المسلمون كل الوسائل المتاحة للكتابة، فلم يدع سطحا صالحا من المواد إلا استخدمه وجعله أداة للكتابة، وكان للبيئة وما تقدمه من مواد أثر في طبيعة المواد التي استعملت في كل مكان، ونذكر من أهم المواد التي استعملها الإنسان في الكتابة هي:

أ- الطين : كان الطين من أقدم المواد التي اتخذها الإنسان للكتابة لتيسره ولينه وسهولة الكتابة عليه، فكانوا يضعون من الطين قوالب يكتبون عليه وهو طري، ثم يجففونه في الشمس أو يطبخونه بالنار وقد كانت هذه الحالة منتشرة في العراق عند الأكديين والسومريين والأشوريين، وقد عثر على ألواح كثيرة من ألواح الطين مكتوب عليها بالخط المسماري، وتحتفظ المتاحف الأثرية بالآلاف من الألواح الطينية (2).

---

(1) المرجع السابق، ص 282.
(2) الخط والكتابة في الحضارة العربية: دكتور يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط1 ،ص 247 .

ب- الحجر : أما الكتابة على الصخور والنقش على الحجر فقد كثر في البيئات الصخرية، كما هذه المادة أقوى من الطين على البقاء ولكنها ثقيلة الوزن كبيرة الحجم يصعب حملها ونقلها، ولذلك كثرت هذه الكتابات في المعابد والكهوف والقصور والقلاع، وقد كتب الجاهليون على الحجارة وكانت الكتابة والنقش على الحجر بصمات، وقد جاء هذا اللفظ في شعر لبيد في قوله يشبه الديار ورسومها البالية بالكتابة:

فَمُدَافِعُ الرَيَان عَرِيٌ رَسْمُهَا خَلْقًا كَمَا ضِمْنَ الوَحْيِ سَلامُهَا

وجاء في شعر زهير أيضا :

لِمَنْ الدِيَارُ غِشِيَتُهَا بِالفَدْفَدِ كَالوَحْيِ فِي حَجَرِ المَسْلِ المَخَلَدِ

قال زيد بن ثابت حينما أمره أبو بكر بجمع القرآن "فجعلت أتبعه في الرقاع والعسب واللخاف"، وأكد النديم كتابة العرب في اللخاف فيما بعد في قوله "والعرب تكتب في أكتاف الإبل واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض، وفي العسب عسب النخل" [1].

ج- ورق الشجر: وفي المناطق التي تكثر فيها الأشجار والغابات كالهند كتبوا على ورق الشجر وعلى لحاء الشجر، ذكر أبو الريحان البيروني ما كان يتخذه أهل الهند لكتاباتهم، قال فالهند أما في بلادهم الجنوبية فلهم شجر باسق كالنخل والنارجيل ذو ثمر يؤكل وأوراق في طول ذراع وعرض ثلاث أصابع مضمومة يسمونها تاري، ويكتبون عليها ويضم كتابهم منها خيط ينظمها في ثقبة من أوساطها، فينفذ في جميعها وأما في واسطة المملكة وشمالها، فإنهم يأخذون من لحاء شجرة التوز الذي يستعمل

(1)المرجع السابق،ص248

نوع منه في أغشية القستي ويسمونه (بهوج) في طول ذراع وعرض أصابع ممدودة فما دونه، ويعملون به عملا كالتدهين والصقل يصلب به ويتملس ثم يكتبون عليها، وهي متفرقة يعرف نظامها بأرقام العدد المتوالي ويكون جملة الكتاب ملفوفة في قطعة ثوب ومشدودة بين لوحين بقدرهما واسم هذه الكتب (بوتي) ورسائلهم وجميع أسبابهم تنفذ في التوز أيضا (1).

د- العسب والكرانيف :

والعسب: جمع عسب، وهي السعفة أو جريدة النخل إذا يبست ونزع خوصها.

والكرانيف: جمع كرنافة، وهي أصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة.

وقد وردت العسب في الشعر الجاهلي من ذلك قول لبيب يصف كاتبا:

مُتَعَودٌ لِحَق يُعِيدُ بِكَفِهِ قَلَمًا عَلى عَسَبِ ذَبْلْن وَبَانَ

وكان المسلمون يكتبون ما ينزل من القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في العسب والكرانيف، وفي حديث الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض "والقرآن في العسب والقضم"، وفي البخاري أن زيد بن ثابت حيث كلفه أبو بكر بجمع القرآن مضى بجمعه من الرقاع والأكتاف والأقتاب والعسب وصدور الرجال.

(1) المرجع السابق، ص 248.

هـ- الأقتاب : وقد كانوا يكتبون في الخشب وعلى الإبل حين يضطرون إلى ذلك ولا يجدون ما يكتبون عليه، والأقتاب جمع قتب (قتب) بفتحتين أو بكسر فسكون، وهو الاكاف الصغير على قدر سنام البعير، وقد مر حديث زيد بن ثابت أنه جمع القرآن من "الرقاع والأكتاف والأقتاب والعسب"

و- العظام والأكتاف : كان العرب يكتبون في العظام وخاصة الأضلاع والكتف، وكان الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن في العظام، وقد مر أن بن ثابت كان يتتبع القرآن "من صدور الرجال ومن الرقاع ومن الأضلاع" وبجمع القرآن من الرقاع والأكتاف والأقتاب" وقال زيد لما نزلت هذه الآية "لا يستوي القاعدون من المؤمنين" دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ثقل دعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: اتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه (1)

(1) المرجع السابق، ص 250 – 251

الفصل الثالث

تجليات الحضارة في القصيدة الأندلسية

المبحث الأول: المظهر الدّيني

المبحث الثاني: المظهر الثّقافي

المبحث الثالث: المظهر الطّبيعي

المبحث الرابع: المظهر العمراني

المبحث الخامس: الموشّحات

المظهر الديني:

نشأ السكان المحليون لإسبانيا المسلمة في مناخ الكنيسة النصرانية القوطية المغربية، واعتادوا نمطا يستند إلى الكتاب المقدس وإلى الطقوس الدّينية النصرانية تحت السلطة المطلقة لآباء الكنيسة. وعندما دخل النصارى واليهود الإسبان في دين الإسلام، ثم دخول عناصر تقليدية من هذين التراثين، وهكذا نشأ الطابع المحافظ المتشبث القديم، وكان الدّين من عوامل الإندماج السريع بين عناصر المجتمع الأندلسي (1).

- الشعب الأندلسي شعب متدّين، وهم لتدينهم يجلبون علماء الدّين ويحترمونهم ويعظمون الفقهاء ويوقرونهم وإذا أرادوا تقحيم أمير عظيم من أمرائهم لقبوه بالفقيه.

- وكان الأندلسيون لتدينهم يقيمون الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم ويمقتون تعطيلها، وإذا عطلها حاكم اقتحموا قصره حتى يخرجوه من بلدهم (2).

- وقد تجلى ذكر العبادات المقدسة في الشعر الأندلسي والتّي تعتبر مظهرا من المظاهر الدينية التي تمت بصلة للحضارة في الأوجه التالية:

1- الصلاة: وتعتبر من أركان الإسلام الخمسة، وتلعب دورا محوريا في الحياة الدينية (3).

- وفي هذه العبادة يقول الشاعر الأعمى التطيلي:

تَيَمَّمْ حَتَى عَايَنَ المَاءَ مُطْلَقاً فَهَلْ تُجْزِينَ عَنْهُ صَلاَةُ التَيَّمُم (4).

ويقول يوسف بن هارون الرمادي:

وَكَانَ مِنَ الصَّلاَةِ طَويلَ لَيْلٍ يُقَطِّعُه بِلاَ تَغْمِيضُ شَعْرِ (5)

(1) الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الجيوسي، ج2، ص 1179 - 1180
(2) ينظر الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، ص 74
(3) ينظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الجيوسي، ج2 ص 1219
(4) استحياء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إبراهيم منصور محمد ياسين، عالم الكتب الحديثة 2006 ص 17
(5) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، ص 363

2- الصوم: ويعتبر موسما للتوبة والندم، وتكثر فيه تلاوة القرآن. (1)

يقول ابن حميدس:

فَلْيُهَنِّيكَ الشَّهْرُ المُعَظَّمُ إِنَّـــــهُ ضَيْفٌ قُرَاهُ البَرُّ وَالإِيثَارُ

أَصْبَحْتَ فِيهِ لِوَجْهِ رَبِّكَ صَائِماً لَكِنْ لَكَفَّكَ بِالنَّدَى إِفْطَـــارُ

ضَيْفٌ أَتَاكَ بِهِ لِتَعْرِفَ حَقَّهُ فَلَكَ بِقُدْرَةِ رَبِّـــهِ دَوَّارٌ (2)

3- الحج: بالرغم من إقامتهم البعيدة، ورحلتهم الطويلة التي تستمر شهورا أو سنوات، إلا أن عدد كبير منهم أدى فريضة الحج. (3)

- يقول ابن اللبانة:

فَإِذَا الَّذِي حَجَّ فِي عَهْدِ الصِّبَا فَمَضَ عَنَّا هِلَالاً وَوَافَى نَحْوَنَا قَمَراً (4)

ويقول ابن حزم:

وَمِنْ دُونِ بَيْتِ اللهِ مَكَّةِ التِي حَبَاهَا بِمَجْدٍ لِلتُّرَيَّا مُزَاحِمٍ (5)

ويقول ابن السيد البطليوس في قصيدة يخاطب بها مكة المكرمة من حيث أهميتها الدينية في نفوس المسلمين:

مَكَّةُ نُفْدِيـــكَ نُفُوسُ الكَرَائِـــمُ وَلاَ بَرَحَتْ تَنْهَلُ فِيكَ الغَمَائِمُ

وَكُفَّتْ أَكُفُّ السُّوءِ عَنْكَ وَبُلِّغَتْ مُنَاهَا قُلُوبَ كَيْ تَرَاكِ حَوَانِمُ

فَإِنَّـــكِ بَيْتُ اللهِ الحَرَمُ الذِي لِعِزَّتِهِ دُلَّ المُلُوكُ الأَعَاظِمُ

(1) ينظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الجيوسي، ج2، ص 1227
(2) استحياء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ابراهيم منصور، محمد ياسين، ص 45
(3) ينظر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الجيوسي، ج2 ص 1229
(4) استحياء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ابراهيم منصور، محمد ياسين، ص 45
(5) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس، ص 342

وَقَدْ رُفِعَتْ مِنْكَ القَوَاعِدُ بِالتُّقَى وَشَادَتْكِ أَيْدٍ برَّةٌ وَمَعَاصِمُ

وَسَاوَيتِ فِي الفَضْلِ المَقَامَ كِلاَهُمَا تُنَال بِهِ الزُّلْفَى وَتُمْحَى المَآثِمُ (1)

- كما اتصف بعض الأندلسيين ب:

أ- الزهد: هو النظر إلى الدين بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الأعراض عنها، وهو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكيف.

والزهد هو من جوهر الدين الحنيف، ومنذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم تتألف أسماء زهاد كثيرين زهدوا في متاع حياة الدنيا، مؤشرين عليه ما عند الله من شاع الآخرة مع العمل وكسب العيش حتى لا يعيشوا عالة على المجتمع. (2)

نشطت حركة الزهد نشاطا ملحوظا، وكان هذا النشاط كرد فعل لموجة المجون التي انغمس فيها الكثير من الأندلسيين. (3)

يقول ابن شكوال:

أنَا فِي حَالَتِي التِي قَدْ تَرَانِي إِنْ تَأَمَّلْتَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالاَ

مَنْزِلِي حِينَ شِئْتُ مِنْ مُسْتَقَرِ ال أَرْضِ أُسْقَى مِن مِياه زُلاَلاَ

لَيْتَ لِي كِسْوَةٌ أَخَافُ عَلَيْهَـا مِنْ مُغَيرٍ وَلاَ تُرَى لِي مَالاَ

أَجْعَلُ السَاعِدَ اليَمِينَ وَسَادِي ثُمَ أُثنِـى إِذَا تَقَلَبْتُ شِمَالاَ

- وكان ابن شكوال منقطع القرين في الزهد والورع، ويذكر ابن سعيد أنه كان لا يكلم ولا

(1) المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، محمد عوي، محمد ساير الطربولي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط1 2005، م ص 176

(2) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص 347

(3) ينظر الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي عيسى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1 2007، ص 01

يجالس أحدا وكان أكثر دهره معكرا وجهه. (1)

ويقول الزبيدي:

لَقَدْ فَازَ المُوفقُ لِلصوَابِ وَعَــاتَبَ نَفْسَهُ قَتْلَ العِتَابِ
وَمَنْ شَغَلَ الفُؤَادَ بِحُبِ المَوْلَى يُجَازِي بِالجَزِيلِ مِنَ الثَوَابِ
تَفَكَّرْ فِي المَمَاتِ فَعَنْ قَرِيبٍ يُنَادَى بِالرَّحِيلِ إِلَى الحِسَابِ
وَقَدِمْ مَا تَرَجِــي النَفْعُ مِنْهُ لِدَارِ الخُلْدِ وَاعْمَل بِالكِتَابِ
وَلاَ تَغْتَــرْ بِالدُنْيَا فَعَمَّــا قَرِيبٍ سَوْفَ تُؤْذَنُ بِالخَرَابِ (2)

ب- التصوف: وهو الدخول في كل خلق سني، والخروج عن كل خلق ديني، ويقال هو مراقبة الأحوال ولزوم الأدب، وأن العبد في كل وقت بما هو أولى به ذلك الوقت فإن كان في وقت الصلاة كان مصليا، وإذا كان في وقت الذكر كان ذاكرا، وإن كان في وقت الجهاد كان مجاهدا لذلك قيل الصوفي ابن وقته.

- ومن أعلام التصوف: "أبو عمر أحمد بن يحي بن عيسى الألبيري"، "أبو العباس أحمد بن محمد الأدمي"، "أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم".

- ترتبط نشأة التصوف في الأندلس بمحمد بن عبد الله بن مسرة والذي كان يجمع في عقيدته بين التصوف على طريقة ذي النون المصري وبين أداء المعتزلة (3)

ولد الشّعر الصوفي في الأندلس لأول مرة في عصر الموحدين، وظهرت قصيدة التصوف المبنية على لغة الرمز والإشارة المعبرة عن نظريات المتصوفة لأنهم أحسوا

(1) تاريخ الأدب العربيّ شوقي ضيف) ص 348
(2) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة إحسان عباس) ص 105
(3) ينظر الأدب العربيّ شوقي ضيف) ص 356

أن لغة العموم لا تفي بالتعبير عن معانيهم وما يحسونه في أذواقهم ومواجدهم.

- وكان الحب الإلاهي أهم موضوع استغرقه شعراء التصوف، فأفاضوا في تصوير هذا الحب الذي ملك حواسهم، فتضموا قصائد صوفية عديدة ومن بينها:

يقول الششتري: يستحضر صورة ليلي والمجنون قي تصوير حبه الإلاهي:

يا عَجَبَاهَا لِقَيْس لَيْلَى يَشْكُو الذِي وَصَلَهُ النَفارا

لِمَا بَدَتْ دُونَهُ تُسَمَّى مَجْنُونَهَـــا مَا رَآهُ عارَا

لَيْلاَهُ مَا بَاعَدَتْهُ لَكِنْ أرَخَتْ عَلَى وَجْهِهَا الخِمَارَا (1)

ويقول الششتري:

لَقَدْ تِهْـتُ عُجْبَـانًـا بِالتَّجَرُّدِ فَلَم أنْدَرِجْ تَحْتَ الزَّمَانْ وَلَا الدَّهْرِ

وَجَاءَتْ لِقَلْبِي نَفْحَـةٌ قُدْسِيَّـةٌ فَغِبْتُ بِهَـا عَنْ عَالَمِ الخَلْقِ وَالأمْرِ

وَصِلْتُ لِمَنْ لَمْ أنْفَصِلْ عَنْهُ لَحْظَةً وَنَزَّهْتُ مَنْ أعْنِي عَنْ الوَصْلِ وَالهَجْرِ

وَمَا الوَصْفُ إلاَ دُونَهُ غَيْرَ أنَّنِي أُرِيدُ بِهِ التَشبيب عَنْ بَعْضْ مَا أدْرِي

وَذَلِكَ مَثَّلُ الصَّوْتِ أيْقَظَ نَائِمًا فَأبْصَرَ أمْرًا جَلَّ عَنْ ضَابِطِ الحَصْرِ

- ففي هذه الأبيات يتيه الشاعر عجبا وزهورا بالاجتهاد في العبادة والإمامة للفقراء الصوفية، فغاب عن الكون وتل ما فيه من عالم الخلق والتدبير.(2)

(1) ينظر المرجع السابق، ص 356

(2) ينظر تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص 356

المظهر الثقافي:

لما استقر المسلمون في الأندلس، وأمنوا على حياتهم ومصدر رزقهم، بدؤوا في الدراسة والبحث، وأول شيء اعتمدوا عليه في بحثهم هو الكتاب والسنة، فكانت أفكارهم مستمدة من هذين المصدرين، كما اعتبروا علوم الشريعة، وعلوم اللغة وما يتصل بتقويم اللسان ونصاعة البيان زادهم في الثقافة. (1)

– فقوام الحياة الفكرية في أي مجتمع أو شعب، هو انتشار الثقافة إلى حد بعيد انتشارا يجعل في استطاعة كثير من الناس يفكرون بعقولهم مبتعدين عن التقليد ومتابعة للحياة، بالإضافة إلى الفكر الحر واشتغال رجال من أفداد العلماء بعلوم الفلسفة التي تكون العقل المستنير وتسخير الحياة للإنسان لا تسخير الإنسان للحياة، فكل إنسان يستطيع أن يفكر ويبحث ويستنتج ما له من تفكير. (2)

إن الحياة الأندلسية صاخبة في فنونها، مضطربة في تقلباتها السياسية متنفسا فكريا وأدبيا جليل الشأن بعيد الأثر، فقد شاعت الثقافة في الأندلس وعززها الحكام وعملوا على إنشاء معاهد علمية في المدن والقرى، وكان الحكيم من أشهر الخلفاء اهتماما بالقضية الثقافية، قد كان عالما محبا للعلم والعلماء فبنى سبعة وعشرون مدرسة يتعلم فيها أحداث العاصمة مجانا، وفي عصره ازدهرت عاصمة قرطبة التي أسسها عبد الرحمن الثالث في الجامع الكبير فأصبحت من معاهد العلم الراقية في العالم العربي وقصدها من جميع أنحاء إسبانيا فحسب، ووسع الحكم نطاق المسجد الجامع الذي عقدت حلقات التدريس الجامعي فيه. (3)

---

(1) ينظر الأدب العربي في الأندلس علي محمد سلامة ص 43

(2) ينظر من أصالة التثقيف التربوي الإسلامي في الفكر الأندلسي مروان سليم أبو بويج دراسات في أصول التربية د. ط 1987 ص 91

(3) ينظر الموجز في الأدب العربي وتاريخه لحنا الفاخوري ص 33

- ازدهرت الثقافة في أيامه ازدهارا لم تشهده من قبل، فقد جمع من الكتب المتنوعة ما لم يجمعه أحد من ملوك قبله، وكانت له خزانة كتب بلغ عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعين فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر للدواوين، وكان من المشجعين لأبناء بلده على طلب العلم ونال العلماء في عهده مكانة سامية من الاحترام والتقدير (1)

- وأشاد الشعراء باهتمام الخلفاء بالعلم وحرصهم على تحصيله ورعايتهم للعلماء، وأكثرها من الحديث عن مجالس العلم التي كان الخلفاء يعقدونها.

يقول ابن حربون:

مَجَالِسُهُمْ رَوْضَاتُ عِلْمٍ يُزَيِّنُهَـــا مِنْ نُورِ أَجْنَاسُ تُؤَامُ وَفَارِدُ

مَجَالِسُ لَوْ تَرْقَى الكَوَاكِبُ نَحْوَهَا لَقَدْ بَاتَ تِلْمِيذًا لَدَيْهِمَ عَطَارِدُ

لَقَدْ عَمِرَتْ بِالعِلْمِ حَتَّى كَأَنَّهَـــا لِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ فِيهَا مَسَاجِدُ (2)

ويقول ابن شرف القيرواني:

أَقَمْتُ لِلْعِلْمِ نَارًا وَمَا أَظُنُّ فِي الدُّنْيَا لِعِلْمٍ مَنَار

فَمَا نَدَامَاكَ سِوَى أَهله وكلهم بَيْنَ نَدَامَى العَقَار(3)

(1) ينظر دراسات في الأدب الأندلسي، محمد سعيد محمد، منشورات جامعة سبها 2001، ط1، ص 29 – 30

(2) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي عيسى، ص 94

(3) الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، محمد شهاب العاني، دار الدجلة عمان، ط1 2010، ص 174

مظاهر الحضارة الطبيعية:

تتميز الأندلس بطبيعة فاتنة في سهولها، و وديانها وأنهارها وجبالها وغاباتها و أشجارها وأزهارها وبساتينها، وهذه الطبيعة سحرت أنظار الشعراء فتغنوا بمفاتنها و مشاهدها.(1) الأندلس بلاد الطبيعة الجميلة السخية الثرية الساحرة، والأندلسيون قوم يغلب عليهم الأدب ويأسرهم الشعر فتفننوا في قوله وإنشاده، وأحسنوا في الاستماع إليه وإنشاده. (2) فالأندلس أصبحت ميدانا واسعا للعيش الرخي، للابتعاد عن الفتن والاضطرابات السياسية، وكثيرا ما رأى الناس فيها جنة نعيمهم دون جنة الخلد.

قال ابن خفاجة:

يَا أَهْــلَ الأَنْدَلسِ اللهِ دَرُّكُــمْ مَاءٌ وَصِلٌ وَأَنْهَارٌ وَ أَشْجَارٌ

مَا جَنَةَ الخُلْدِ إلاَّ فِي دِيَاركمُ وَلَوْ خُيِّرْتُ هَذَا كُنْتُ أَخْتَارُ (3)

لاَ تَبْغُوا بَعدَهَا أَنَ تَدْخُلُوا سَقَرًا فَلَيسَ تُدْخَلُ بَعْدَ الجَنَةِ النَّارُ (4)

– ومن الأماكن الطبيعية في الأندلس التي تبرز الجانب الحضاري في التزين والتجميل نجد:

I– الروضيات: وهي من المظاهر الطبيعية التي أغرم بها الشعراء الأندلسيون، فعمدوا إلى إضفاء الحياة عليها ولونوها بألوانهم النفسية.

– ففي الشعر الأندلسي نجد أوصافا كثيرة للروضيات بأشكال كثيرة وأنماط عدة:

---

(1) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص 293

(2) الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، ص 341

(3) ينظر الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا الفاخوري، ص 28

(4) استحياء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إبراهيم المنصور، محمد الياسين، ص 67

يقول ابن سارة:

أمَّا الرياضُ فإنَّهُنَّ عَرَائِسُ لَمْ يَحْتَجِبْنَ حَذَارَ عَيْنِ الكَالِي

جَادَ الرَّبِيعُ لَهَا بِنَقْدِ مُهُورِهَا دَفْعًا لَمْ يَبْخَلْ بِوَزْنِ الكَالِـــي (1)

– ففي هذه الأبيات يقف ابن سارة على الرياض ليصفها بالعرائس التي تزيد الربيع حسنا وجمالا طبيعيا الذي يظهر الجمال الحضاري.

ويقول ابن خفاجة في وصف شجرة أناخ بها ذات يوم:

سَقْيًا لِيَوْمٍ قَد أَنَخْتُ بِسَرْحَـــةٍ رَيَّـــا تُلاعِبُهَا الشمالُ فَتَلْعَبُ

سُكْرَى يُغَنِّيهَا الحَمَامُ فَتَنْثَنِـــي طَرَبًا وَيَسْقِيها الغَمَامُ فَتَشْرَبُ

يَلْهُو فَتُرْفَعُ لِلشبيبةِ رَايَـــةٌ فِيـــهِ وَيَطَّلِعُ للبَهَارَةِ كَوْكَبُ

وَالرَّوْضُ وَجْهٌ أَزْهَرٌ وَالظِّلُّ فِرِ عٌ أَسْوَدٌ وَالمَـــاءُ تَغْرُ أَشْنَبُ

فِي حَيْثُ أَطْرَبَنَا الحَمَامُ عَشِيةً فَشَدَا يُغْنِينَا الحَمَامُ المُطْرِبُ (2)

– فابن خفاجة أبدع في هذا العرض بوصفة الشجرة وما كان حولها من المظاهر الطبيعة الخلابة من غناء الحمام والمياه.

إذا كان الفنان الأصيل قادر على أن يصنع من قطعة الحجر المتواضعة تمثالا ينال الإعجاب، فإن الشاعر يستطيع أن يصنع من بيئته المتواضعة جنة ليس فيها إلا القليل من النباتات البرية والقصب ولكن على تواضع منظره وبساطته كان مصدر وحي لبعض الشعراء من ذوي الذوق الرهيف والتصور الأنيق.

(1) ينظر المكان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف حتى نهاية الحكم محمد عويد محمد «باير الطربولي» ص 55 – 56

(2) الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته» مصطفى الشكعة» ص 268

تقول أم العلاء شاعرة وادي الحجارة:

لِلهِ بُسْتَانِي إذَا يَهْفُو بِهِ القَصَبُ المُنَدَّى

فَكَأَنَّمَا كَفُّ الرَّيَا ح قَدْ أَسْنَدَتْ بَنْدَا فَبَنْدَا (1)

فهذين البيتين عمدت الشاعرة إلى خلق صورة جذابة لبستانها المتواضع الذي يزينه نبات متواضع أيضا وهو القصب الفارسي.

ويقول أبي الدباغ في وصف الروضة:

لاَ شَرَابَ إلاَ فِي بُسْتَان وَالرَّبِيعُ قَدْ فَاحَ نُوَارُ

يَبْكِي الغَمَامُ وَيَضْحَكُ أَقْحُوَانُ مَــع بُهَــارُ

وَالمِيَاهُ مِثْلَ الثَّعَابِيــنَ فَذَاكَ السُواقُ دَارُوا

وَالنَسِيمُ عُذْرَى الأَنْفَاسِ قَد نَحَلَ جِسْمُ وَقَدْ رَقَ

وَعشيهُ مَليــح فتــن عَنْــهَ المِسْكُ يَنشــقُ

الطيورَ تَحْكِي المَثَانَى وَنسْقُهَا أَحْسَنُ سِيَاقًا (2)

– عبر الشاعر في هذه الأبيات عن فتنته بطبيعة بلاده الجميلة، فوصف الروضة بطيورها وأزهارها وثمارها ونسيمها، فإنها الأصالة في الخلق والبراعة والإبداع، كما اقترن وصف الطبيعة بالخمر وهناك مطالع خمرية امتزجت بهذا الوصف.

يقول ابن عمار:

أدر لزجاجة فالنسيمُ قد أنبرى وَالنَجْمُ قَدْ صَرَفَ العَنَانَ عَنْ السَّرَى(3)

(1) المرجع السابق، ص 270 – 268

(2) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي عيسى، ص 449

(3) الشعر السياسي في الأندلس عصر ملوك الطوائف، محمد شهاب العافي، ص 218

ويقول الرصافي:

وَعَشِّيٍّ رَائِقٍ مَنْضَرَهُ قَدْ قَطَّعْنَاهُ عَلَى صِرْفِ الشَّمُولْ

وَكأن الشَّمْسَ فِي أثناءه أَلْصَقَتْ بِالأرض خَدًّا للنُزُولْ

والصِبَا تَرْفَعُ أَذْيَالَ الرُبَى وَمحياً الجَوَّ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلْ (1)

وهنا الشاعر يصف أمسية قضاها مع بعض رفاقه مستمتعا بشرب الخمر وبرؤية مغرب الشمس والطير تصدح من حوله.

II- الزهريات: وصف الأندلسيون الأزهار وأكثروا من وصفهم للزهرة بعينها فوصفوا الورد والنرجس و الشقائق والياسمين والقرنفل واللوز.

يقول ابن حميدس:

يَا بَاقَةً فِي يَمِينِي بِالرَّدَى ذَبُلت أذاب قَلْبِي عَلَيك الحُزْنُ وَالأسَفُ

أَلَمْ تَكُونِي لِتَاج الحُسْنِ جَوْهَرَةً لَمَا غَرَقْت فَهلاَ صَانَك الصَدَفُ

وفي هذين البيتين رش باقة من الزهر أصابها الذبول فيتحرق حزنا وأسى عليها، فالباقة قد غرقت في بركة ويشبهما بالجوهرة، وكانت الجواهر تأخذ من أصداف البحار فاستغل الشاعر تلك الفكرة الطريفة فوشى بيته.(2)

يقول المعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد يصف زهرة الياسمين:

كَأنمَــا يَسْمِينُنَــا الغضُّ كَوَاكِبُ فِي السَمَاءِ تَبِيضُ

وَالطَرْق الحَمْرُ فِي جَوَانِبِهِ كَخدِ حَسْنَــاءِ مَسَّهُ عَضُ

(1) ينظر الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، ص 277

(2) ينظر المكان الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، محمد عويد، ساير الطربولي، ص 58

والشاعر نقلة جديدة أوجبتها مظاهر الحضارة المتنامية، فنجد مقطوعات من الشعر على أبواب الدور وحيطانها ومجالسها وبسطها وفرشها وأثاثها، وغير ذلك من الأشياء والمقتنيات وذلك نجد شعرا غزليا على باب دار بالحجاز يصرح فيه الشاعر أن خلف الباب محبوبته ملكت قلبه وكيانه: (1)

يَا دَارُ إنَّ غَزَالاً فِيكَ عَذَّبَنِي ... الله درَّكِ مَا تَحْتَوِيهِ يَا دَارُ

الدَار تملكني ويحيا وصاحبها ... قَلْبِي مَلَكَانُ: رَبَ الدَّار وَالدَّارُ

كما نجد إلى جانب هذا النقش على الدور:

أرَى الدَرَا مِنْ بَعد الحَبيبِ وَلاَ أرَي ... حَبيبي مَع البَاقين في عرضة الدار

أو هذا الذي كتب حافزا في الجص:

هَلاَّ رَحِمْتُمُ مَوْقِفِي بِغِنَائُكُمْ ... مُتَعَرِضًا لِنسِيمُكُمْ أتَنْشَقُ

وكذلك استخدموا أبواب الدور وحيطانها كلوحات إعلامية للشعراء استخدمت أيضا صور المجالس، فهذه الأبيات الغزلية التي كانت مكتوبة في صدر مجلس أمير المؤمنين "الخليفة المأمون". (2)

الحمامات:

ومن مميزات العمارة الأندلسية إبان الحكم الإسلامي لإسبانيا تنوع الحمامات المتخصصة في نظافة البدن والروح وبعضها مشتقة من الينابيع الحارة الرومانية ومزودة

(1) بحوث في الأدب الحضاري في العصر العباسي(الشمة الكتابات، و انفوس الثلجيات)،أحمد فهمي عيسى كلية التربية بدمياط ص 109
(2) المرجع نفسه،ص 110

بحجرات عديدة ذوات درجات حرارية مختلفة من الباردة جدا وشديدة الحرارة مع الإشارة إلى أن الغلايات كانت تحت سطح الأرض. (1)

قد تميزت قرطبة بعد أن تناهت في الاتساع في عصر المنصور ابن أبي عامر بلغ 900 حمام ويذكر المقري في موضع آخر أن عددها بلغ في قرطبة 911 حماما، وفي موضع ثالث 70 حمام، أما ابن غالب الأندلسي فيذكر نقلا عن ابن أن عدد حماماتها المبرزة للناس سبعمائة حمام ونيف وذلك عند انتهاء كمالها، وقد أطلق اسم أحد حمامات قرطبة على بيض "حمام لالبيري".

ولم يبق من الحمامات الكثيرة التي كان يكتظ بها العمران القرطبي سوى آثار حمامين الأول صغير المساحة، عثر عليه في سنة 1903 في جوف الأرض في المنطقة المعروفة بساحة الشهداء داخل نطاق القصر الخلافي بقرطبة.

- وكانت غرفة المدخل مزودة بحوضين للاستحمام وتسقفها قبوة متعارضة ويلي هذه الغرفة غرفتان تعلوهما قبوتان نصف أسطوانيتين مزودتان بمضاوي نجمية الشكل من ثمانية رؤوس. (2)

قول الأعمى التطليلي:

يا حسن حمامنا وبهجته مرآى من السحـــر حســـن

مَاء ونار حماهما كنفٌ كالقلب فيه السرور والحزن (3)

(1) قرطبة حاضرة الخلافة الأندلسية، عبد العزيز سالم ص 69

(2) الفن الإسلامي في اسبانيا، مانويل جومين مورينيو، ص 204

(3) دراسات في الأدب الأندلسي العربي، سالم شريف، ط1 2003م، دار شموع الثقافة، ص 85

لابن شكيل الصدقي مقطوعة خصصها الحمام، وفيها وقف على براعة صنعه ودقة هذا البناء، متعرضا لما فيه من أمور فيزيائية كالنار والماء الحار، رابطا بخيال طريق بين الأرض والسماء التي تعود أصلا لهذا الحمام، وكيف شكلت مناظر الحمام من زوايا مختلفة، يقول:

تُلهى العُيُونَ رقومُه فكأنَّها قَد ألبستَ ساحَاتهُ ديباجا
مجموعة أضداده فترى بها نار الغض والوابل الثجاجا
حرَّانُ منسكبُ الدموع كأنما يحكي بذاك العاشق المُهتَاجا
وَجلتْ سَمَاواتُهُ السماء وإنما جعلت مكان النيران زجاجا
قامت علَى عَمَدٍ جُلينَ عرائسًا فترى لها السمك المكلل تاجا (1)

المظهر الموسيقى:

العرب من الشعوب التي أسهمت بنصيب وافر في تقدم فن الغناء والموسيقى من تاريخ الحضارات العالمية، فالحجاز كانت أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب، والحيرة قبل الإسلام كانت لا تزال تحتفظ بقدر كبير من الثقافة السامية. (2)

- الموسيقى الأندلسية سلسلة حضارة لم تسلم من تقلبات التاريخ وصروف الدهر، وهي لسانها المعبر عنها، وأكثر ما أنتجته الحضارة تأثرا بالأحداث والأحداث لمخاطر الزوال والإندراس فقد شقت طريقها عبر قرون طويلة منذ عصر زرياب الذهبي إلى عصرنا هذا

(1) المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي محمد عويد محمد ساير الطربولي ص 215
(2) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية وعمرانية أثرية في العصر الإسلامي، سيد عبد العزيز سالم، ص 69

دون أن تتعرض إلى كثير من المحن والشدائد. (1)

إن الحياة الأندلسية لا تقوم إلا في جو حافل بالموسيقى ووسائل الطرب، وكل شيء في الأندلس جمال وموسيقى وفتنة وغناء، وكانت مجالس الطرب تقام في كل مكان ومجالس اللهو المخمورة تترنم بألف وتر والاحتفال الشديد بالثراء والموسيقى ولمس تلك الطبيعة الأندلسية المتهافتة على متع الدنيا كما اعتبروا الخمرة والموسيقى من ضروريات المواسم والأعياد. (2)

لقد كان الأمراء مشغوفين بالغناء ومغرمين بالسماع، وكان أفراد الشعب وحتى الفقراء منهم مولعين أيضا ووجد في عهد الحكم مغنيات مشهورات هما: "علون وزرقون" ولكن مجيء زرياب إلى الأندلس أطفئ شهرتهما، ولكنه وصل في الوقت الذي مات فيه الحكم، فعزم على الرحيل ثم اقتنع بالبقاء فاستقبله عبد الرحمن بن الحكم الأوسط أحسن استقبال وأكرمه هو وأولاده فملأوا أسماء الأندلس بالعزف والغناء والألحان والأناشيد. (3)

شاعت الموسيقى في الأندلس وكثر المغنون، فأقيمت حفلات الطرب على أنغام القيان و العيدان والطنابير والمزامير وغيرها من الآلات، وأشهر من أثر في الموسيقى زرياب المغني (4)

وكان زرياب خير من مثل الموسيقى، نشأ في بغداد واشتهر في فن الغناء فتقرب منه

(1) الطرب الأندلسي مجموعة الأشعار والأزجال موسيقى، لسيد أحمد سري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرخاية الجزائر 301 د. ط، ص 17

(2) ينظر الموجز في الأدب العربي وتاريخه، لحنا الفاخوري، ص 29 – 30

(3) ينظر في الأدب الأندلسي، مصطفى الشكعة، ص 86 – 87

(4) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص 854

هارون الرشيد وأبناؤه وكان زرياب رجل علم وأدب مرجحا في أمور الزي ورجل من رجال العبقرية الفنية يعرف عشرة آلاف صوت بأشعارها وألحانها.

وكان للعود قديما أربعة أوتار هي: الزير والمثنى، والمثنى والبم فأضاف إليها وترا خامسا اخترع له مضربا من قوائم النسر (1)

وأقام زرياب في قرطبة معهدا يتدرب فيه الفتيات والفتيان على الغناء، وجعل للغناء تقاليد انفردت بها الأندلس، فكان يبدأ بالنشيد ويخرج منه إلى البسط ويختم بالمحركات والأهازيج.(2)

- كما جعل لكل طالب يلتحق مدرسته طريقة خاصة لامتحان القبول تتعلق بدرجات الصوت وصفاءه وغنته وقوته يقول المقري في نفخ الطيب مبينا الطريقة التي كان يتبعها زرياب في التدريب والتعليم وإخبار القبول كان إذا تناول الإلقاء على تلميذ يعلمه أمره بالعقود على الوساد المدور المعروف بالمسورة وأن يشد صوته جدا إذا كان قوي الصوت، ولا يجد متسعا في الجوف عند الخروج، إذا كان ألص الأضراس لا يقدر على أن يفتح فاه، أو كانت عادته زم الأسنان عند النطق راضه بأن يدخل في فمه قطعة خشب عرضها ثلاثة أصابع يبيتها في فمها ليالي حتى ينفرج فكان وكان إذا أراد أن يختبر المطبوعة الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره بأن يصيح بأقوى صوته (يا حجام) أو يصيح (آه) ويمد بها صوته فإن سمع بهما صوتا نديا قويا مؤدبا لا يعتريه غناه. ولم يكن يقبل في عهده إلا من كان ذا صوت مطبوع وأول التلاميذ الذين تعلموا في ذلك

(1) ينظر الموجز في الأدب العربي وتاريخه، لحنا الفاخوري، ص 30
(2) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص 51

المعهد الموسيقي أولاد ثمانية. (1)

قضى زرياب على جميع الموسيقيين الذين كانوا في الأندلس قبله وساهم في التطور والازدهار في مجال الطب والغناء والموسيقى. (2)

– وقد وجد الغناء بالأندلس قبولا يكاد يكون شاملا ولم يتخرج فيه قوم حتى لقد توفي عليه جماعة من أبناء الطبقة الأرستقراطية و يحدثنا ابن المطرف ابن الأمير محمد كان عالما بالغناء، وكان له أخوان آخرين عارفان بالغناء جدا ومن العسير أن تثبت أن رجال الدين كانوا يكرهون الغناء أو يشددون النكير على أهله بل لعلهم كانوا في هذه الناحية أقرب الناس شبها بفقهاء أهل المدينة ونساكها ومن الحكايات الدالة في هذا الباب قصة قاضي الجماعة محمد ابن أبي عيسى، وكان عند رجل من بني حدير وجارية للحديري وتغنيهم هذه الأبيات:

طَابَتْ بطيب لثَائِكَ الأَقْدَاحُ وَزَهَتْ بحمرةَ خدك التفـــاحْ

وإذا الربيع تنسمت أرْوَاحِهُ طابت بطيبِ نَسيمك الأرْوَاحُ

وإذا الحنادس أُلبِسَتْ ظلماءها فضاء وَجهكَ فِي الدَّجَى مصباحُ

فكتب القاضي هذه الأبيات في يده، وخرج للصلاة على جنازة، والأبيات مكتوبة على باطن كفه، وكان ابن عبد ربه وهو ذو الديانة والصيانة ما زادت يوم ببعض الأحياء فسمع مصابيح تغني، فاستماله غناؤها ووقف تحت الرشق منصتا– ثم مال إلى بعض المساجد. وأخذ لوحا لبعض الصبية وكتب عليه:

(1) حضارة إسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية،دكتور عبد المقصور عبد الحميد أبو عتيبة،الجزء 2،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ص 106

(2) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف،ص 52

يَا مَن يَضِنُّ بصوتِ الطائر الهَزَدِ مَا كنتُ أحسبُ هذا البَخلَ من أحد

لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة أضف إلى الصوت لم ينقُصْ ولم يزد(1)

الموشحات:

فن التوشيح فن أندلسي خالص، نشأ في الأندلس وتطور هناك حتى بلغ الغاية وهو يختلف عن غيره من الألوان النظم بالتزامه بقواعد معينة من حيث القفية وبخروجه أحيانا عن الوزن الشعري، وباستعماله اللغة الدارجة أو الأعجمية في بعض أجزاءه وباتصاله الوثيق بالغناء. (2)

وقد أخذ اسم الموشح من الوشاح والوشاح نوع من الزينة كانت المرأة تتزين به وفي لسان العرب أن الوشاح من حلي النساء، وأنه خيطان ينظم فيها اللؤلؤ والجوهر، يخالف بينهما، ويعطف أحدهما على الآخر.

والموشح هذا النظم المخصوص – مقارب لذلك الوشاح في الشكل كما يشبهه في التسمية فهو يتألف من قفل ومن غصن يليه، وتتكرر الأقفال والأغصان وبينما تتحدد أجزاء الأقفال التالية مع الأجزاء المقابلة لها في القفل الأول وزنا وقافية، تختلف أجزاء الأغصان التالية مع أجزاء الغصن الأول في قافيته فلكل غصن قافية تتخذ في أجزاءه على أنها تتخذ في الوزن المرشحة، إذن تتوالى فيها الأقفال: المتحددة وزنا وقوافي، وتتوالى بين كل قفلتين الأغصان التي تتخذ في الوزن ويكون لكل غصن قوافيه الداخلية الخاصة به (3)

(1) تاريخ الأدب الأندلسي إحسان عباس عصر سيادة قرطبة إحسان عباس ص 25
(2) المختار من الشعر الأندلسي محمد رضوان الداية ص 50
(3) في الأدب الأندلسي محمد رضوان الداية ص 178 – 179

أنواع الموشح:

للموشح نوعان، التام والأقرع، فالتام هو ما توفر به المطلع وقد مرت منه نماذج متعددة، ونضيف إليها قول ابن سهيل:

لزهرة البستان في غصنها الفينانْ عَرفٌ نِفوحْ

فباكر الخلان في رَوضةِ الريحانْ إلى الصَّبوحْ

فهذه الأقسمة تمثل المطلع في هذه الموشحة، ولذلك يسمى الموشح تاما أما الأقرع فهو الذي يخلو من المطلع، ويبدأ مباشرة بالدور منة قول ابن الصباغ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

لأحمدَ المصطفى مقامُ

جل عُلاً فلا يُرامُ

بنوره يهتدي الأنامُ

فأي شمس وأي بدر قد أطلعته لنا السعودُ (1)

الموشحات كغيرها من الألوان الأدبية وتتجلى موضوعاتها في الغزل والخمر والطبيعة ومن موضوعات تدع المشاعر تنطلق من سجيتها دون تكلف أو تصنع. (2)

يقول ابن دحية:

سَدَلْنَ ظَلاَمَ الشُعُور علَى أوْجُه كالبدور

سَفَرْنَ فَلاَحَ الصبَاح

ضَحَكْنَ ابتسام الأقَاح

كَأنَ الذِي فِي النُحُور تَخَيَرْتَ مِنْهُ النُّعُور

(1) ينظر تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص 164

(2) الموشحات الأندلسية، انطوان محسن الكتاب العربي، بيروت، ط3 2003، ص 13

ففي هذه الموشحة بداية بمطلع ثم دور ثم قفل كان فيها زخرفة وانسجام في الألفاظ وتناغم في العبارات، إذ جمع ابن دحية في غزله والإعجاب بجمال صواحبه، حيث يصف الجمال والحسن من جهة ومن جهة أخرى ينتقل بصده بين ثغورهن التي تزداد بها نحورهن. (1)

أما الوصف فنجده في قول "يحي بن بقي":

عَطا بُلْيَتُه وَمرَ كالظبي لَبيدُهُ

فدل عليه تَكْثُر الحُلـــي بَجيدُه

تَفَيَّرَ عينه يُسْرع فِي بَري عَميدُهُ

نلمس في هذا الموشح ذو السمط المركب من ثلاثة أجزاء ميلا إلى الترصيع والزخرفة والإبداع في التصوير حيث كان ميله إلى التلميحات كما جاء في البيت الأول، ولقد كان في هذه الموشحة وصف بن بقي لمحبوبته وكأنها ظبية حقيقية مصورا بذلك جمال جيدها ويقول أنه رآها لمحا إذا مرت سريعا إلى منزلها، وبعدها يغور إلى نفسه فيقول أنها ليست من الظباء بل هي من النساء إذ سمع صوت الحلي بجيدها.

ويقول "عبادة بن ماء السماء":

لَيْلَيهُ الذوائِـــب وَوَجْهَهَا نَهَارُ "

مَصْقُولَةُ التَرَايُبِ وَرَشْفُهَا عَقَارُ " "

أصْدَاغُهَا عَقَارب وَالخَدُ الجَلْنَارُ (2)

---

(1) في الأدب الأندلسي محمد رضوان الداية ص 152

(2) المرجع نفسه ص 158

" الذوائب: الظفائر

" " العقار: الخمر

وهي موشحة ذات سمط من جزئين امتزجت بين الغزل والخمر، كما احتوت على سران، سر جمال الموشحة وسر الإحسان العاطفي، فنجده اقتبس سواد الشعر من الليل وحسن الوجه من إشراقة الصباح في أجزاء السمط الأول ثم يواصل الوصف والمزج بين الخلق الرباني لمحبوبته ومظاهر الطبيعة، وهو وصف ثقافي فيه الشاعر لمحا وتأملا وبناءا وتنميقا.

وهناك موشحة أخرى "للحفيد بن زهر" يصف فيها مجلس من مجالس الأندلس في روعة الطبيعة يقول:

مـــا للموله من شكره لا يفيق يا له سكران
من غير خمر ما للكئيب المشوق يندب الأوطان
هل ستعـــادُ أيامنـــا بالخليـــج وليـــا لينـــا
إذ يستفـــادُ من النسيج الأرمَج مسك دراينا (1)

وهنا نرى الوشاح يصف الطبيعة فهو بهذا يصف ظل المرأة والخمر على كل شيء.

– ومن هنا يتجلى أن الموشحات كانت في مختلف الأغراض كالغزل والخمر ووصف الطبيعة والمدح، لأن أبهى مجالس الغناء كانت تعقد في قصور الملوك والأمراء والتغني بمن فيهم يقول جودت الركابي: "ويظهر أن الموشحات خلقت لتصف حياة الرقة والأنس والهناء، ولهذا كلما تعرت لهذه الأغراض بدأ تأثيرها وظهرت جدتها وكانت أعلق بالنفوس، وكيف أنها ملتقى العشاق وساحة اللهو والطرب ومبعث السلوان والحنين". (2)

(1) الموجز في الأدب العربي وتاريخه،حنا الفاخوري،دار الجيل بيروت،المجلد الثالث،ط3 2003،ص 188
(2) الموشحات الأندلسية،انطوان محسن القوال،ص 12

الأزجال:

أ- تعريف الزجل: وهو في اللغة التطريب، وقد سمي به الأندلسيون الفن الشعري العامي مقابل الموشحة، ونشأ للتغني به في الطرقات والأسواق والمحافل العامة.

ومن أشهر الزجالين: "ابن قزمان"، "ابن عبد الرؤوف"، "صفي الدين الحلي" ويعتبر صفي الدين الحلي أول من بحثها ودرسها، وحاول أن يعرض شيئا من تاريخها وخصائصها العروضية واللغوية، ولو أنها كانت مضمونة بلغة رومانية أو لاتينية التي كانت دراجة في الأندلس.

ب- نشأته: نشأ مع الموشحة منذ أواخر القرن الثالث الهجري وأن قاعدته الأساسية هي أن يكون بلغة عامية تخلوا من الإعراب ومن التفاصح بالألفاظ العربية الجزلة، وأن أول من اتخذ هذه القاعدة أساسا للزجل أخطل بن نماره، ويجزم ابن خلدون بأنها ظهرت متأخرة محاكاة للموشحة يقول: "لما شاع فن التوشح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه نسجت العامة من أهل الأمطار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل". (1)

كان أهل الأندلس يقولون أن ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة، فابن قرمان ملفت للمعنى، ومدغليس ملفت للفظ. (2)

ومن أغراض الزجل الحضارية:

- وصف الطبيعة: عبر الزجالون عن تفننهم بطبيعة بلادهم الجميلة، فوصفوا الرياض والأشجار و الأزهار

(1) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص 163 - 164
(2) المرجع نفسه، ص 166

يقول أبي الدباغ في وصف روضة:

لاَ شَرَابَ إلاَ فِي بُسْتَانِ والرَبِيعُ قَدْ فَاحَ نُوَارَ

يَبْكِي الغَمَامُ وَيَضْحَكُ أَقْحُوَانُ مَعَ بَهَــارَ

وَالمِيَاهُ مِثْلُ الثَعَابِينُ فَذَاكَ السُــوَاقُ دَارُو

وَالطُيُورُ تَحْكِي المَثَانَى وَنَسْقُهَا أَحْسَنُ سِيَاقَا (1)

في هذه الأبيات أبد الشاعر في وصف هذه الروضة مبرزا جمالها بثمارها وطيورها وأزهارها التي تعد مظهرا حضاريا.

ويقول صفي الدين الحلي في وصف الربيع والطبيعة:

الرَّبِيعُ يَنْشُــرَ عَلاَمُ مِثْــلُ سُلْطَــانًــا مُؤَيَــدْ

وَالثمارْ تنثــر حلية بِثِيَــابْ بَحَــلْ زَبَرْجَدْ

والرياض تلبس غلالا من نبــات قَحْــلَ زمرُدْ

وَاليهار مَعَ البَنَفْسَجْ يَا جَمَال أبيضْ فِي أَزْرَقْ(2)

(1) الشعر في عصر الموحدين،فوزي عيسى،ص 449

اذا الكريم تحدث ، ها وبابا .

خاتمة

خاتمة

بعدما تم عرضه في المتن من الحضارة الأندلسية والتعرض لأهم المظاهر الحضارية فيها نخلص إلى النتائج التالية:

1) وثقت القصيدة الأندلسية الصلة بين الأدب والحضارة فتوضحت الرؤيا بالنسبة للمؤرخين الذين حرصوا على استلهام عناصر الحضارة من معاني الشعر وأغراضه.

2) توفرت القصيدة الأندلسية على كثير من مظاهر الحضارة التي مثلت جانبا مهما من جوانب الدولة الأندلسية في كل مراحل حياتها.

3) أولى شعراء الأندلس اهتماما بالغا وغير مقصود لرعاية ووصف كل ما يتعلق بالحضارة الأندلسية في كل جوانبها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

4) توثقت الصلة بين الحضارات العربية العباسية والأندلسية على وجه الخصوص رغم الفواصل الزمانية والمكانية، وتشكلت تراكمات حضارية استفادت منها كلتا الحضاريين.

5) أثبت التاريخ أن الحضارة الأندلسية حققت المساواة العنصرية والتسامح الديني بين عناصر المجتمع.

6) شهدت الصناعات في بلاد الأندلس تقدما عظيما في جميع الميادين وخاصة في مجال الصناعات اليدوية مما دفع المجتمع إلى التحضر في المعاش والحياة الاجتماعية.

7) نشأة الحياة الأندلسية في جو حافل بالموسيقى ووسائل الطرب فكل شيء في الأندلس جمال وموسيقى، ونتيجة احتفاءهم بالموسيقى برزت الموشحات كفن من الفنون الموسيقية والشعرية التي ميزت الأندلسيين عن غيرهم.

8) تطور الثقافة نتيجة اعتناء الخلفاء والحكام بالعلم والعلماء وتسخيرهم للإمكانات المادية والمعنوية لرعايته وكنتيجة لذلك برع الأندلسيون في عدة علوم منها علوم الطب والفلك

والجغرافيا وعلم التفسير وغيرها من العلوم، كما تعد الحضارة الإسلامية في الأندلس منبع تطور العلوم، كما قدمت الكثير من العلوم النافعة وأثبتت دور الإسلام فيها.

9) تميز الأندلس بطبيعة في سهولها ووديانها وأشجارها وبساتينها وهذا ما دفع الشعراء إلى التغني بها.

وفي الأخير فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص:

- سورة الأنعام الآية 102
- سورة آل عمران الآية 64
- سورة الحجر الآية 09
- سورة الحشر الآية 07
- سورة الفاتحة الآية 05
- سورة المائدة الآية 122
- سورة النساء الآية 01

2- الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين ط1

3- الأدب العربي في الأندلس تطوره وموضوعاته وأشهر أعلامه، علي محمد سلامة، دار الموسوعات العربية ط1 ، 1989

4- الأدب العربي وتاريخه، الأدب في الأندلس والمغرب وأدب الانحطاط حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت 1991، الجزء 4، المجلد 3

5- استحياء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، منصور محمد ياسين، عالم الكتب الحديث 2006 م

6- بحوث في الأدب الحضاري في العصر العباسي الشمعة، الكتابات النقوش، التجليات أحمد فهمي عيسى، كلية التربية بدمياط.

7- تاريخ الأدب الأندلسي، إحسان عباس، دار النشر والتوزيع 2001 ط1

8- تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع 2008 ط1

9- تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكريا العناني، دار المعرفة الجامعية ط1

10- تاريخ الأدب العربي حنا الفاخوري، دار الأصالة، الجزائر 1987 ط2

11- تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف، دار المعارف ط3

12- التاريخ العباسي والأندلسي أحمد مختار العبادي، دار النشر للنهضة العربية للطباعة 1882

13- تاريخ العرب في بلاد الأندلس محمود السيد مؤسسة شباب الجامعة.

14- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل ابراهيم السامراني، عبد الواحد، دنون طه، ناطق صالح مطلوب، ط1، حريزان يونيو 2004 افرنجي المداد الإسلامي، ط1.

15- تاريخ الفكر العربي في الأندلس أنخل بالنتيا نقله عن الإسبانية حسن مؤنس 2006 مكتبة الثقافة الدينية.

16- الثقافة العربية ومستقبل الحضارة محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء 2008 ط1

17- حضارة الأندلس في الزمان والمكان أعمال الندوة الدولية.

18- الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية عبد المقصور، عبد الحميد أبو عتيبة، الجزء 2 دار الكتب العلمية بيروت.

19- الحضارات البشرية ومنجزاتها محمد سعيد حمدان، محمود عواد الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.

20- الحضارة العربية الإسلامية صالح النعيمات، نوفان، رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر شركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة.

21- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس سلمى الخضراء الجيوسي مركز الدراسات الوحدة العربية 1999 ط1 ، الجزء 1 .

22- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس سلمى الخضراء الجيوسي، الجزء 2 .

23- الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، اسحاق رباح، سليمان أبو سليم دار الكنوز، المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ط2 .

24- الخط والكتابة في الحضارة الغربية بقي وهبب الجيوري، دار الغرب الإسلامي ط1 .

فهرس المصادر والمراجع

25- دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة كمال السيد أبو مصطفى مركز الإسكندرية للكتاب.

26- دراسات في الأدب الأندلسي العربي سالم شريف، دار الشموع للثقافة 2003 ط1 .

27- دراسات في الأدب الأندلسي محمد سعيد محمد منشورات جامعة سبها 2001 .

28- ركائز الحضارة العربية الإسلامية مفهوم العلم، الإيمان في الإسلام، عبد الحميد مهدي دار الشهاب باتنة.

29- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين فوزي عيسى دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط1 2007 .

30- الشعر السياسي في الأندلس في عصر ملوك الطوائف محمد شهاب العافي، دار الدجلة، عمان ط1 ، 2001 .

31- الشعر في عصر المرابطين والموحدين، محمد سعيد الجامعات العراقية ط3.

32- الطرب الأندلسي مجموعة الأشعار والأزجال موسفى صنعة أحمد سري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر 2001.

33- العرب في الأندلس لجورج غريب دار الثقافة بيروت.

34- في الأدب الأندلسي محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت.

35- الفنون الإسلامية إياد صقر دار المجد لاوي، عمان، 2003، ط1.

36- الفن الإسلامي في إسبانيا مانويل جومي مورينو، مؤسسة شباب الجامعة .

37- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية وعمرانية أثرية في العصر الإسلامي دار النهضة العربية 1972.

38- الكتاب في الحضارة الإسلامية يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي ط1.

39- لسان العرب ابن منظور، بيروت، دار احياء التراث العربي 1988.

40- الموشحات الأندلسية انطوان، محسن القوال، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 2003.

41- مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن دار القلم بيروت 1984.

42- معالم التاريخ وحضارة الإسلام، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دار الفكر العربي القاهرة 1998.

43- مقومات الحضارة الإسلامية في الإسلام حسن رمضان فحلة دار الهدى، عين ميلة الجزائر ط1.

44- معالم الحضارة العربية الإسلامية مدخل نظم علومه زراعة واجتماعيات وعمارة وفنون تأثيرات اسماعيل السامعي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية 2007.

45- مقدمة الحضارة عند مالك بن نبي وارنوا توينبي آمنة تشيكو المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1980.

46- المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، محمد عويد ساير الطربولي مكتبة الثقافة العربية القاهرة 207م.

47- المختار من الشعر الأندلسي محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت، ط3، 1991.

48- نظرات في الثقافة الإسلامية عز الدين الخطيب التميمي عمار فرقي باتنة.

49- وحدة الفنون الإسلامية، غازي سكراشي، شركة المطبوعات 1990، ط1.

50- الوسيط في الحضارة العربية الإسلامية، عماد الدين خليل، فايز الربيع، دار المكتبة حامد 2004 ، ط1.

51- ومضات الحضارة الإسلامية ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي، دار المناهج 2004 ، ط1

الأنترنيت

الفهرس العام

مدخل تمهيدي: ماهية الحضارة العربية الإسلامية

أ- ماهيتها..... 02

لغة..... 02

اصطلاحا..... 03

ب- عوامل الحضارة..... 05

ج- مصادر الحضارة..... 06

د- خصائص الحضارة..... 10

ه- عناصر الحضارة..... 15

الفصل الأول: العصر الأندلسي

المبحث الأول: العصر السياسي..... 20

المبحث الثاني: العصر الاجتماعي..... 33

المبحث الثالث العصر الاقتصادي..... 41

المبحث الرابع: عصر العلوم..... 48

الفصل الثاني: مظاهر الحضارة العربية الإسلامية

المبحث الأول:الغناء والموسيقى..... 56

المبحث الثاني: الثقافة..... 61

المبحث الثالث: الفنون الإسلامية..... 65

المبحث الرابع: فن الزخرفة..... 76

المبحث الخامس: العلوم..... 80

المبحث السادس: الألبسة..... 87

المبحث السابع: الخط العربي..... 93

الفصل الثالث: تجليات الحضارة في القصيدة الأندلسية

المبحث الأول: المظهر الديني.....98

المبحث الثاني: المظهر الثقافي.....103

المبحث الثالث: المظهر الطبيعي.....105

المبحث الرابع: المظهر العمراني.....112

المبحث الخامس: الموسيقى.....121

المبحث السادس: الموشحات.....125

الخاتمة.....132

فهرس المصادر والمراجع.....135

الفهرس 140

كان الأندلسيون قد أكثروا القول في الياسمين وهي الزهرة التي لم تجد كثيرا من العناية لدى الحلبيين، وكان أكثر من افتتن بزهرة الياسمين الخلفاء والأمراء.

يقول المعتمد أبو القاسم ابن عباد فيشبهها على أغصانها الخضراء الملتفة بدراهم منثورة على ثوب أخضر:

ويَاسْمِين حَسَن المَنْظَر يَفُوقُ فِي المرأى وَفِي المَخْبَر

كَأنَهُ من فوق أغْصانِهِ دَراهِمُ فِـــي مَطْرَفِ أخْضَر (1)

إن شعراء الطبيعة في الأندلس استطاعوا أن يقدموا من خلال وصفهم للأزهار صورا نظيرة ولوحات جذابة في أكثرها أصالة وبراعة ورمز للحضارة.

III- الثمريات: الثمار من المظاهر الطبيعية الحية، التي تمحورت في غرض الوصف وأن أكثر ما تمحورت فيه هي الفواكه. (2)

- إن الثمرة الحلوة تملأ العين سحرا والنفس بهجة فالتفاحة بنعومتها والسفرجلة بطفولتها وإغرائها والرمانة بحسنها وتمنعها وكل هذا كان مصدر وحي الشعراء.

يقول ابن خفاجة في وصف التين:

أمَا وَاهْتِصَار غصُون البَلَسْ وَقَدْ قَلَّصَ الصُّبْحُ ذَيْلَ الغَلَسْ

وَمَالَ يَسِيـــلُ حَتـــى شَهْدِهِ كَما سَالَ رِيقُ حَبِيبٍ نَعَسْ

لَقَد سَاقَ مِنْ رَائِقِ المجْتَلى شَهِيَّ الجنى مُسْتَطَابَ النَفَس

فَهِمَتْ لَهُ بِبياض الثَّغُور وَأحْبَبْتُ فيه سَوَادُ اللَعَسْ (3)

كما كان النارج من أكثر الفواكه التي كان الشعراء يتنافسون إلى وصفها في شكلها

(1) ينظر الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، ص 283
(2) المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم، محمد عويد ساير الطربولي، ص 61
(3) ينظر الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، ص 297 – 299

ولونها، كما في شعر ابن سارة التي اغتنى بلونها وتشبيهها بالنار عديمة اللهب:

يا رُبَ نَارجَةٍ يَلْهُو النَدِيمُ بِهَا كَأَنَّهَا كُرَةٌ مِن أحْمَرِ الذَهَبِ

أوْ جَدْوَةً حمَلَهَا كَفُ قَابِسُهَا وَلَكِنَهَا جَدْوَة مَعْدُومَة اللَّهَبِ

ويقول الرصافي في وصف تفاحة:

تُفَاحَةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ حَمْرَاءُ فِي لَوْن وَجْنَتَيْهِ

هَمَّ بِتَقْبِيلِهَا فَزَارَتْ فَاهُ عَلَى رَغْمِ مُقْلَتَيْــهِ (1)

فالشاعر هنا استغل ما تتمتع به الفاكهة من لونها الأحمر وطيب طعمها وشكلها المحبب في أغراضه الغزلية.

- كما عمد الأندلسيون إلى وصف الخضر مثل الباذنجان والخرشوف.

ويقول ابن سارة الشنتريني في وصفه الباذنجان:

وَمُسْتَحْسِنٍ عِنْدَ الطَعَامِ مُدَحْرَجٍ غَدَاهُ نَمِيرُ المَاءِ فِي كُلِ بستَانِ

أَطَافَتْ بِه أَقْمَاعُــه فَكَأَنَــه قلوب نِعاجٍ فِي مَخَالِيبِ عُقْبَانِ

ويصف عبد الله بن طلاء الخرشوف بقوله:

وَبِنْتَ مَاءٍ وَتُرْبٍ جُودُهَا أَبَدًا لِمَنْ يُرَجِيــهِ فِــي حُصْنِ البُخْلِ

فَكَأَنَهَا فِي بَيَاضٍ وَامْتِنَاعٍ دُرَى بَكْرٌ مِن الرُّومِ فِي خِدْرٍ مِن الأسَلِ

فابن طلاء لوصفه للخرشوف شبهه بالعذراء الرومية في عهد محروس بالرماح والخناجر.(2)

- إن التنويع في غرس الثمار والخضر يعكس ثقافة الأندلسيين الزراعية وبين مدى

(1) المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، محمد عويد، محمد ساير الطربولي، ص 61 - 62

(2) ينظر الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، ص 304 – 305

اهتمامهم بهذا المظهر الاقتصادي الذي ساعد على تطور الحضارة الأندلسية.

IV- المائيات: إن الأنهار وما تشعب عنها من برك وخلجات وما يخرج من مائها من دواليب وسواق ومياه الأمطار، وما يتصل بها من مظاهر طبيعية من مد وجزر قد انتبه له الشعراء الأندلسيون. (1)

يقول الأعمى التطيلي يصل مطرا:

طَلَبَتْ عِزَّةَ الزَمَانِ الجَمَادَ نِعْمَ جبٌّ الرُّبَا وَرَيٌّ الوهاد

وأصاخت إلَى الجَنُوبِ تَقَصَّى أثَرَ الحَدْبِ فِي أقَاصِي البِلاَءِ

كُلَمَا عَرَجَتْ بوَادٍ مِنَ الأرْ ض حَدَاهَا فَحثها ذكر الوَادي (2)

ويقول أبا محمد ابن سارة الشنتريني يصف بركة ماء ضمت سلاحف ماء:

للهِ مَسْحُورَةٌ فِي شَكْلِ نَاضِرة مِنَ الأزَهِرِ أهْدَابُ لَهَـا وُطُفُ

فِيهَا سَلاحِفُ أَلْهَانِي تَقَامُصُهَا فِي مَائِهَا وَلَهَا مِنْ عَرْمَضٍ لُحُفُ (3)

- من مظاهر البذخ في الطبيعة الأندلسية تلك الأنهار الكثيرة والوفيرة الماء، تحي موات الأرض مشرقا ومغربا وشمالا وجنوبا، فترفد الأرض بالخصب والعطاء وتمد الرياضة بالسحر والنماء وكانت أكبر المدن وأهمها قرطبة وإشبيليا وغرناطة تقع على تلك الأنهار، وهذا ما جعل الأندلسيين يتخذون من ضفافها مواقع لهو واستمتاع.

وبدافع الحضارة المتطورة أدخل الأندلسيون مياه الأنهار في قصورهم الباذخة من خلال أفواه التماثيل بالماء النمير الذي ألهم خيال الشعراء.

---

(1) المرجع السابق، ص 310

(2) المختار من الشعر الأندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت، ط3 1991، ص 109

(3) الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، ص 310

يقول ابن جياب:

وَالأسَدُ تفخُرُ حَوْلَهُ أقْوَاهَهَا أبَدًا فَتَقْذِفُ الذَائِبُ المرجان (1)

بوصف الأزهار والمياه والخضر والرياض والاحتفال بها بأشعار الأندلسيين الوصفية يعكس مدى ارتباطهم بالجمال الطبيعي وتقديسهم له، الذي يبرز الجانب الحضاري في التزيين والتجميل الذي حضيت به حدائقهم وبساتينهم داخل القصور أو في الرياض المختلفة، وهو مظهر من مظاهر الحضارة الأندلسية.

المظهر المعماري:

تعد المنشآت المعمارية مظهرا من مظاهر الحضارة وهي دلالة واضحة على الرخاء الاقتصادي، ولقد امتلكت الأندلس في عهد الخلافة كل المقومات المؤهلة بأن تكون بحق وليدة عصر الخليفة الناصر، وأن تصبح العاصمة قرطبة صورة حقيقية لمظاهر ازدهار وبذخ ذلك العصر. فقد كانت من أكبر وأجمل عواصم العالم آنذاك فمع نمو عدد سكانها البالغ الأكثر من خمسمائة ألف توسعت عمائرها ومبانيها، فمن المساجد ما يقارب الأربعمائة وواحد وتسعين مسجدا، اشترك في بناءها الأمراء والخلفاء أو مؤسسيها (2)

المساجد:

يتميز نمط العمارة فيها بالطابع الإسلامي حيث استخدم في تشييد المساجد الأجر العربي والرخام والجبس الزخرفي وهي المواد المفضلة لبناء بيت الله.

- وقد كان الأصل لبناء المساجد الأندلسي ومطابقتها لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان عبارة عن جناحين إحداهما مغطى والآخر مفتوح على الهواء الطلق لهذا المخطط

(1) المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، محمد عويدامحمد ساير الطربولي، ص 212
(2) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل ابراهيم السامراني، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، ص 181

البسيط تم تطويره تدريجيا إلى أن تحول إلى مسجد جامع بكل ما تفي هذه الكلمة بنية أدائه المطلوب لجميع الوظائف المنوطة به من صلوات وغيرها لخدمة عامة المسلمين على الوجه الأكمل. (1)

ومن المساجد الأندلسية:

أ- مساجد الجامع:

بناه عبد الرحمن الداخل منذ أول حكمه للبلاد، بنى المسجد والقصور يعتبر لهذا المسجد من أروعة أمثلة العمارة الإسلامية.

وقد ساهم أمراء بني أمية في ترقية هذا المسجد بالتجديد والإضافة كما ساهموا في تزيينه، حيث قام الخلفاء الواحد تلوى الآخر بعمل إضافات زادت في جماليته إلى أن أخذ صورته النهائية.

يحتوي هذا الجامع على أقواس حيث ضم حوالي 500 عمود وقوس في منتهى الروعة، بدأ تشييده إبان عبد الرحمن الأول ثم عبد الرحمن الثاني ثم عبد الحكيم الثاني وأخيرا الخليفة المنصور في عام 1987، ويعتبر معلما حضاريا لا مثيل له ويعتبر بحق في ذلك الوقت عما وصل إليه فن العمارة من براعة خيالية في عهد خلفاء الأندلس أما محراب هذا المسجد ويميل بعض الشيء عن اتجاه القبلة في مكة المكرمة. (2)

يقول القاضي أبو محمد ابن عطية:

بأربع فَاقَتْ الأَمْطَارُ قُرْطُبَةُ مِنْهُنَّ قِنْطَرَةُ الوَادِ وَجَامِعُهَا

هَاتَان اثنتان والزهراء ثالثة والعلمُ الأَكْبَرُ شيء وَهُوَ رَابِعُهَا

(1) المرجع السابق، ص 182

(2) تاريخ العرب في بلاد الأندلس، محمود السيد مؤسسة الشباب الجامعة د، ط ص 126

ب- المنية العامرية:

تعتبر من المنيات المشهورة بقرطبة، أسسها المنصور محمد ابن أبي عامر وتقع على بعد كيلومترات غربي قرطبة وثلاثة فقط من مدينة الزهراء وفيها قناة تنساب بين بساتينها وقد وصفها العامري:

العَامْرِيَـــةُ أضحت كجنـــةِ الرضْوَان
فريـــدُة لفريـــد ما بين أهل الزَمَان
أنظر إلى النهر فيها شباب عار لثُعبَان
والطيرُ يخطبُ شكرا على درا الأغصان
والقطبِ تَلْتَـــف سكرا بميس القُضْبَـــان
والرَّوْض يفتر زُهُوا عَلى مُبْسَم الأقْحُوَان
والنرجس الفضي يرمو بوجنـــة النُعْمَـــان (1)

وكانت العامرية تزهى بالنرجس والياسمين والبنفسج، وقد وصف الوزير الجزيري مجلسا للمنصور أبي عامر في العامرية فقال:

وَتَوسطتها لجة في قعرهـــا بنـــت السلاحف ما تزال تَنفَنَقُ
تَتَسَاب مِنْ فَكِي هزبر أنْ يَكِف تبـــث الجنات فإن نفاه أخْرَقَ
صَاغُوهُ ندو وخلق صفحتي هاديـــه محض الدرِّ فهو مخلق
للياسمين تطلع في عرشـــه مثل المليك عُراه زهو مَطَر مطرقُ (2)

(1) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية وعمرانية أثرية في العصر الإسلامي دار النهضة العربية 1972 ج2 ص 193
(2) المرجع نفسه ص 123

قصر الزهراء:

لم يكن التفكير متجها إلى أكثر من إنشاء مقر للاصطياف في أول إنشاء الزهرة لعلها كانت تقع بين ذراعي "نهرسان" خير "نيمو" ويظهر من تموجات الأرض أنه كان يلصقها أثار قصر لعله كان مؤلفا من عشر أروقة، كما تدل على ذلك القرائن التي جمعت من تخطيط المدنية على نحو مراسمها المهندس دون ببليكس "هرنا ندين" وكل ذلك في اتجاه طبيعي نحو الجزء البارز المنحرف من الاسوار الذي يقطع الاتجاه العام للمنطقة في زاويتها الشمالية الشرقية. (1)

يقول ابن هديل في وصف الزهراء:

كان حَنَايَاهَا جَنَاحًـــا مُصفـــق إذَا ألْهَبَتْهُ الشَمْسُ أرخامها نَشْرًا

كأن سواريها شكت فترةُ الضنَى فَبَاتَتْ هُضيمات الحَشَا نَحْلاً صَقْرَا

كأن الذي زان البياض نحورها يعذبهـــا هَجْرًا وَيَقْطِعُهَـــا كِسرا

كأن النَخِيلُ البَاسِقَاتُ إلى العُلاَ عَذَارَى حجال رَجَّلَتْ لمـــا شقرا

كأن غُصُونُ الأسى والريح بينها متون نشاوي كلما اضطرَبَتْ سَكَرَا

كأن جنا الجلنا ودق عشيقان لما استجمعا أظْهرا حَفْرا (2)

ويقول محمد بن شخيص كذلك في وصف الزهراء:

فَاتَتْ محَاسِنُهَـــا مَجْهُودَ وَاصِفُهَـــا فَالقَوْلُ كَالسكت والإيجازُ كالخطل

بلْ فَضْلُهَا في مَبَانِي الأرض أجْمَعُهَا كَفضْلِ دَولـــة بَانِيهَا عَلَـــى الدول

كَادَتْ قصَي الحَنَايَا أنْ تُضَارِعُهَـــا أهلـــة السَعْدِ لولا وَصْمَةُ الأفل

(1) الفن الإسلامي في اسبانيا،مانويل جوميت مورينيو د، ط مؤسسة شباب جامعة،ص 103
(2) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سادة قرطبة،إحسان عباس، ص 101

تَألقَتْ فَغَدَا نقصـــانهـــا كَمَـــلاً وربما تنقص الأشياء في الكمل

كم عاشقين من الأطيار ما فتئا فيها يرودان من روض إلى غلل (1)

عبر الشعراء عن إعجابهم وانبهارهم بهذه القصور في مقطعات كثيرة، فمن ذلك قول أبي الحسن بن فضل يصف قصور الشنتبوس:

هِيَ القصور البيض لا مَا حَدَثُوا عَن إرم وَغَيْرِهَا مِنَ البنَـــا

تَخْتَطِفُ الأبْصَارَ مِن لألائِهَا واللَيْلُ قد أرْخَى القِنَاع لأدكنا

كَأنَّمَـــا النَهْرُ الخضم تحتهـــا مجرة الأفق امْتِدَادًا وسنا

وهي عَلَيْـــهِ كالنُجُوم سِحْرًا بين جموع وفرادا وَثِنَـــا (2)

ويبدو أن منظر قصور شنتبوس وهي تطل على النهر ليلا أثار إعجاب كثير من الشعراء، فتخيلوها كالنجوم أو البذور التي تخطف الأبصار وتقيد النواظر بروعتها وجمالها، فمن ذلك قول أبي المطرف بن عميرة:

بَهَرْتُ جَمَالاً في الدُجَى حَتَى تَرَى مَعَهَا عَمُودُ الصُبْحِ غير مُبيت

فهي النجوم بل البُدُورُ لأنها تزداد حُسْنًا في اللَيَالِي الجُون (3)

قَدْ ألفَتْ أجْزاؤُها فَتَنَاسَبَتْ كتَنَاسُبِ النَغَمَاتِ فِي التَلْحِين

المتنزهات:

كانت هذه المتنزهات بألوان المتع والمسرات فلم تكن تخلو من وجه جميل وكأس وخليل، وألحان تطرب الثكلى محاضرات أشهى من بلوغ الآمال وأحلى، وكانت هذه المتنزهات

(1) المختار من الشعر الأندلسي، محمد رضوان الداية ص 200
(2) الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعي، ص 30
(3) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي عيسى، ص 109

منتدى الشعراء ومسارح لهوهم ومدار أنسهم، فكانوا يقضون فيها أجمل أوقاتهم يستمتعون

بمظاهره الخلابة ويعبون فيه من كؤوس اللهو ومعهم من الوجوه الفتانة ما بعين القرائح ويأتي من المحاسن والبدائع بكل غاد ورائح وكثيرا ما كان الولاة يرتادون هذه المتنزهات ومعهم الشعراء فيقيمون الولائم ويتطارحون الشعر. وقد رسم الشعراء لوحات كثيرة لهذه المتنزهات، وتغنوا بها في قصائدهم ووصفوا لحظات الأنس التي قضوها في جنباتها تسترقصهم الراح ويطربهم الغناء، ويسحرهم ما يشاهدونه من مناظر خلابة، فمن ذلك أبي جعفر ابن سعيد يصف حور مؤمل:

عَرَجَ عَلَى الحُور وخيم بـــه حَيْثُ الأَمَانِي ضَافِيَات الجَنَاح
وَأَسْبَقُ لَه قبل ارتحـــال الندى ولا تزره دُونَ شَـــادٍ وَرَاح
وَكُنْ مُقِيمًا مِنْهُ حَيْثُ الصبَـــا تَمْتَازُ مَسْكاً مِنْ أَرِيجِ البَطَاح
والقَضْبُ مَالِ البَعْضِ مِنْهَا عَلَى بَعضٍ كَمَا يُثْنَى القُدُودِ ارتيَاح
وَشَقَ جَنَبُ الصبح نور كمـــا شقت جيوب الطل منها الرياح
لم أحص كم غاديته ثابتا وَاسْتَرْقَصَتْنِي الرَاح عِنْدَ الرَوَاح (1)

ومن منتزهات قرطبة" منية الزبيري المنسوبة إلى الزبير ابن عمر الملثم ملك قرطبة وفيه يقول ابن بقي:

سَقَى اللهُ بُسْتَانَ الزبيـــر وَدَامَ فـــي مَجَارِيهِ سَيلُ النَهر ما غنت الورق
فكائن لنا من نعمـــة فـــي جنابـــه كبزتـــه الخضراء طَالِعُهَـــا طلقُ

(1) المرجع السابق، ص 129
" المنية: جنانا واسعة تنقل إليها غرائب الفروس

هُوَ المَوْضِعُ الزَاهِي عَلَى كلّ مَوْضِعِ أمَـا طَلَهُ ضَـافٍ أمَا مَاؤُهُ دفقُ
أهِيمُ بـه فِي حَالَـةِ القُرْبِ والنَوَى وَحُقَ لَهُ مُنَـى التذكرُ والعِشْـق
وَمن ذلك النَهَـرِ الخفـوق فُؤَادُهُ بِقَلْبِي مَا غُيبتْ عَنْ وَجَهِهِ خفقُ (1)

ومن منتزهات قرطبة السد وهو (الرصيف) الذي كان يمتد من الناحية الشرقية لمدينة قرطبة الناحية الغربية للقصر، ثم يواصل سيره بعد ذلك فيحيط السوق العظمى نحو السهل الذي يقع فيه المصارة والصلاة، قال ابن سعيد: (أخبريني وادي أن الشاعر المنبرز أبا شهاب المالقي أنشده لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السد):

وَيَوْمُ لَنَـا بالدَّلو لَوْ رُدَّ عَيْشُـه بِعِـيشَـهِ أيَـامِ الزَمَـانِ رَدَدْنَـاهُ
بكرنا له والشمسُ فِي خَدرِ شرقها إلَى أنْ أجَابَتْ إذْ دَعَا الغَرْبُ دَعواهُ
قطعنا شدوا وأعتباقًـا ونشـوة وَرَجَعَ حَدِيثٍ لَوْ رَقَى الميتَ أحْيَاهُ
عَلَى مثلهِ مِنْ منتزه تبتغِي المُنَى فَلِلـهِ مَـا أحلـى وَأبْـدَعَ مَرَاهُ
شَدَتْنَا بِهِ الإرْحَا وَأَلْقَتْ نِثَارُهَا عَلَيْنَـا فَأصْـغَيْنَـا لَـهُ وَقَبَلْنَـاهُ
لَئِـنْ بَـانَ بِـالأنِيـنِ لِفقدِهِ وبالدَّمْعِ فِي إثرِ الفُرَاقِ حكينَـاهُ (2)

الدور ومحتوياتها:

تعد الدور ومحتوياتها من الفرش والأثاث والمقتنيات، من أبرز مظاهر الحضارة عند المجتمعات، فنجد في العصر الأندلسي وبعد النهضة العمرانية الفذة التي قامت في هذا العصر فنا أدبيا جديدا وهو في الديارات وذلك يبدو واضحا جليا من خلال انتقال الأديب

(1) المكان في الشعر الأندلسي من عصر الموحدين حتى نهاية الحكم العربي، محمد عويد، محمد ساير الطربولي ص 223
(2) المرجع نفسه، ص 224

والشاعر نقلة جديدة أوجبتها مظاهر الحضارة المتنامية، فنجد مقطوعات من الشعر على أبواب الدور وحيطانها ومجالسها وبسطها وفرشها وأثاثها، وغير ذلك من الأشياء والمقتنيات وذلك نجد شعرا غزليا على باب دار بالحجاز يصرح فيه الشاعر أن خلف الباب محبوبته ملكت قلبه وكيانه: (1)

يَا دَارُ إنَّ غَزَالاً فِيكَ عَذَّبَنِي ... الله درَّكِ مَا تَحْتَوِيهِ يَا دَارُ

الدَار تملكني ويحيا وصاحبها ... قَلْبِي مَلَكَانُ: رَبَ الدَّارِ وَالدَّارُ

كما نجد إلى جانب هذا النقش على الدور:

أرَى الدَرَا مِنْ بَعد الحَبيبِ وَلاَ أرَي ... حَبِيبِي مَع البَاقين في عرضة الدار

أو هذا الذي كتب حافزا في الجص:

هَلاَّ رَحِمْتُمُ مَوْقِفِي بِغِنَائُكُمْ ... مُتَعَرِضًا لِنِسيمُكُمْ أتَنْشَقُ

وكذلك استخدموا أبواب الدور وحيطانها كلوحات إعلامية للشعراء استخدمت أيضا صور المجالس، فهذه الأبيات الغزلية التي كانت مكتوبة في صدر مجلس أمير المؤمنين "الخليفة المأمون". (2)

الحمامات:

ومن مميزات العمارة الأندلسية إبان الحكم الإسلامي لإسبانيا تنوع الحمامات المتخصصة في نظافة البدن والروح وبعضها مشتقة من الينابيع الحارة الرومانية ومزودة

(1) بحوث في الأدب الحضاري في العصر العباسي(الشمة الكتابات و انفوس الثلجيات)أحمد فهمي عيسى كلية التربية بدمياط ص 109
(2) المرجع نفسهص 110

لابن شكيل الصدقي مقطوعة خصصها الحمام، وفيها وقف على براعة صنعه ودقة هذا البناء، متعرضا لما فيه من أمور فيزيائية كالنار والماء الحار، رابطا بخيال طريق بين الأرض والسماء التي تعود أصلا لهذا الحمام، وكيف شكلت مناظر الحمام من زوايا مختلفة، يقول:

تُلهى العُيُونَ رقومُه فكأنَّها قَد ألبستَ ساحَاتهُ ديباجا
مجموعة أضداده فترى بها نار الغض والوابل الثجاجا
حرَّانُ منسكبُ الدموع كأنما يحكي بذاك العاشق المُهتَاجا
وَجلتْ سَمَاوائهُ السماء وإنما جعلت مكان النيران زجاجا
قامت على عَمَدٍ جُلينَ عرائسًا فترى لها السمك المكلل تاجا (1)

المظهر الموسيقى:

العرب من الشعوب التي أسهمت بنصيب وافر في تقدم فن الغناء والموسيقى من تاريخ الحضارات العالمية، فالحجاز كانت أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب، والحيرة قبل الإسلام كانت لا تزال تحتفظ بقدر كبير من الثقافة السامية. (2)

- الموسيقى الأندلسية سلسلة حضارة لم تسلم من تقلبات التاريخ وصروف الدهر، وهي لسانها المعبر عنها، وأكثر ما أنتجته الحضارة تأثرا بالأحداث والأحداث لمخاطر الزوال والإندراس فقد شقت طريقها عبر قرون طويلة منذ عصر زرياب الذهبي إلى عصرنا هذا

(1) المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي محمد عويد محمد ساير الطربولي ص 215
(2) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية وعمرانية أثرية في العصر الإسلامي، سيد عبد العزيز سالم، ص 69

بحجرات عديدة ذوات درجات حرارية مختلفة من الباردة جدا وشديدة الحرارة مع الإشارة إلى أن الغلايات كانت تحت سطح الأرض. (1)

قد تميزت قرطبة بعد أن تناهت في الاتساع في عصر المنصور ابن أبي عامر بلغ 900 حمام ويذكر المقري في موضع آخر أن عددها بلغ في قرطبة 911 حماما، وفي موضع ثالث 70 حمام، أما ابن غالب الأندلسي فيذكر نقلا عن ابن أن عدد حماماتها المبرزة للناس سبعمائة حمام ونيف وذلك عند انتهاء كمالها، وقد أطلق اسم أحد حمامات قرطبة على بيض "حمام لالبيري".

ولم يبق من الحمامات الكثيرة التي كان يكتظ بها العمران القرطبي سوى آثار حمامين الأول صغير المساحة، عثر عليه في سنة 1903 في جوف الأرض في المنطقة المعروفة بساحة الشهداء داخل نطاق القصر الخلافي بقرطبة.

- وكانت غرفة المدخل مزودة بحوضين للاستحمام وتسقفها قبوة متعارضة ويلي هذه الغرفة غرفتان تعلوهما قبوتان نصف أسطوانيتين مزودتان بمضاوي نجمية الشكل من ثمانية رؤوس. (2)

قول الأعمى التطليلي:

يا حسن حمامنا وبهجته مرآى من السحـــر حســـن

مَاء ونار حماهما كنفٌ كالقلب فيه السرور والحزن (3)

(1) قرطبة حاضرة الخلافة الأندلسية، عبد العزيز سالم ص 69

(2) الفن الإسلامي في اسبانيا، مانويل جومين مورينو، ص 204

(3) دراسات في الأدب الأندلسي العربي، سالم شريف، ط1 2003م، دار شموع الثقافة، ص 85

دون أن تتعرض إلى كثير من المحن والشدائد. (1)

إن الحياة الأندلسية لا تقوم إلا في جو حافل بالموسيقى ووسائل الطرب، وكل شيء في الأندلس جمال وموسيقى وفتنة وغناء، وكانت مجالس الطرب تقام في كل مكان ومجالس اللهو المخمورة تترنم بألف وتر والاحتفال الشديد بالثراء والموسيقى ولمس تلك الطبيعة الأندلسية المتهافتة على متع الدنيا كما اعتبروا الخمرة والموسيقى من ضروريات المواسم والأعياد. (2)

لقد كان الأمراء مشغوفين بالغناء ومغرمين بالسماع، وكان أفراد الشعب وحتى الفقراء منهم مولعين أيضا ووجد في عهد الحكم مغنيات مشهورات هما: "علون وزرقون" ولكن مجيء زرياب إلى الأندلس أطفئ شهرتهما، ولكنه وصل في الوقت الذي مات فيه الحكم، فعزم على الرحيل ثم اقتنع بالبقاء فاستقبله عبد الرحمن بن الحكم الأوسط أحسن استقبال وأكرمه هو وأولاده فملأوا أسماء الأندلس بالعزف والغناء والألحان والأناشيد. (3)

شاعت الموسيقى في الأندلس وكثر المغنون، فأقيمت حفلات الطرب على أنغام القيان و العيدان والطنابير والمزامير وغيرها من الآلات، وأشهر من أثر في الموسيقى زرياب المغني (4)

وكان زرياب خير من مثل الموسيقى، نشأ في بغداد واشتهر في فن الغناء فتقرب منه

(1) الطرب الأندلسي مجموعة الأشعار والأزجال موسيقى لسيد أحمد سري المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرخاية الجزائر 301 د. ط ص 17

(2) ينظر الموجز في الأدب العربي وتاريخه لحنا الفاخوري ص 29 – 30

(3) ينظر في الأدب الأندلسي مصطفى الشكعة ص 86 – 87

(4) تاريخ الأدب العربي حنا الفاخوري ص 854

هارون الرشيد وأبناؤه وكان زرياب رجل علم وأدب مرجحا في أمور الزي ورجل من رجال العبقرية الفنية يعرف عشرة آلاف صوت بأشعارها وألحانها.

وكان للعود قديما أربعة أوتار هي: الزير والمثنى، والمثنى والبم فأضاف إليها وترا خامسا اخترع له مضربا من قوائم النسر (1)

وأقام زرياب في قرطبة معهدا يتدرب فيه الفتيات والفتيان على الغناء، وجعل للغناء تقاليد انفردت بها الأندلس، فكان يبدأ بالنشيد ويخرج منه إلى البسط ويختم بالمحركات والأهازيج.(2)

- كما جعل لكل طالب يلتحق مدرسته طريقة خاصة لامتحان القبول تتعلق بدرجات الصوت وصفاءه وغنته وقوته يقول المقري في نفخ الطيب مبينا الطريقة التي كان يتبعها زرياب في التدريب والتعليم وإخبار القبول كان إذا تناول الإلقاء على تلميذ يعلمه أمره بالعقود على الوساد المدور المعروف بالمسورة وأن يشد صوته جدا إذا كان قوي الصوت، ولا يجد متسعا في الجوف عند الخروج، إذا كان ألص الأضراس لا يقدر على أن يفتح فاه، أو كانت عادته زم الأسنان عند النطق راضه بأن يدخل في فمه قطعة خشب عرضها ثلاثة أصابع يبيتها في فمها ليالي حتى ينفرج فكان وكان إذا أراد أن يختبر المطبوعة الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره بأن يصيح بأقوى صوته (يا حجام) أو يصيح (آه) ويمد بها صوته فإن سمع بهما صوتا نديا قويا مؤدبا لا يعتريه غناه. ولم يكن يقبل في عهده إلا من كان ذا صوت مطبوع وأول التلاميذ الذين تعلموا في ذلك

(1) ينظر الموجز في الأدب العربي وتاريخه، لحنا الفاخوري، ص 30
(2) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص 51

المعهد الموسيقي أولاد ثمانية. (1)

قضى زرياب على جميع الموسيقيين الذين كانوا في الأندلس قبله وساهم في التطور والازدهار في مجال الطب والغناء والموسيقى. (2)

– وقد وجد الغناء بالأندلس قبولا يكاد يكون شاملا ولم يتخرج فيه قوم حتى لقد توفي عليه جماعة من أبناء الطبقة الأرستقراطية و يحدثنا ابن المطرف ابن الأمير محمد كان عالما بالغناء، وكان له أخوان آخرين عارفان بالغناء جدا ومن العسير أن تثبت أن رجال الدين كانوا يكرهون الغناء أو يشددون النكير على أهله بل لعلهم كانوا في هذه الناحية أقرب الناس شبها بفقهاء أهل المدينة ونساكها ومن الحكايات الدالة في هذا الباب قصة قاضي الجماعة محمد ابن أبي عيسى، وكان عند رجل من بني حدير وجارية للحديري وتغنيهم هذه الأبيات:

طَابَتْ بطيب لثائِكَ الأقْدَاحُ وَزَهَتْ بحمرةَ خدك التفـــاحْ

وإذا الربيع تنسمت أرْوَاحِهُ طابت بطيبِ نَسيمك الأرْوَاحُ

وإذا الحنادس أُلبِسَتْ ظلماءها فضاء وَجهكَ فِي الدَّجَى مصباحُ

فكتب القاضي هذه الأبيات في يده، وخرج للصلاة على جنازة، والأبيات مكتوبة على باطن كفه، وكان ابن عبد ربه وهو ذو الديانة والصيانة ما زادت يوم ببعض الأحياء فسمع مصابيح تغني، فاستماله غناؤها ووقف تحت الرشق منصتا– ثم مال إلى بعض المساجد. وأخذ لوحا لبعض الصبية وكتب عليه:

(1) حضارة إسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية،دكتور عبد المقصور عبد الحميد أبو عتيبة،الجزء 2،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ص 106

(2) تاريخ الأدب العربيّ شوقي ضيف،ص 52

يَا مَن يَضِنُّ بصوتِ الطائر الهَزَدِ مَا كنتُ أحسبُ هذا البَخلَ من أحد

لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة أضف إلى الصوت لم ينقُصْ ولم يزد(1)

الموشحات:

فن التوشيح فن أندلسي خالص، نشأ في الأندلس وتطور هناك حتى بلغ الغاية وهو يختلف عن غيره من الألوان النظم بالتزامه بقواعد معينة من حيث الثقفية وبخروجه أحيانا عن الوزن الشعري، وباستعماله اللغة الدارجة أو الأعجمية في بعض أجزاءه وباتصاله الوثيق بالغناء. (2)

وقد أخذ اسم الموشح من الوشاح والوشاح نوع من الزينة كانت المرأة تتزين به وفي لسان العرب أن الوشاح من حلي النساء، وأنه خيطان ينظم فيها اللؤلؤ والجوهر، يخالف بينهما، ويعطف أحدهما على الآخر.

والموشح هذا النظم المخصوص – مقارب لذلك الوشاح في الشكل كما يشبهه في التسمية فهو يتألف من قفل ومن غصن يليه، وتتكرر الأقفال والأغصان وبينما تتحدد أجزاء الأقفال التالية مع الأجزاء المقابلة لها في القفل الأول وزنا وقافية، تختلف أجزاء الأغصان التالية مع أجزاء الغصن الأول في قافيته فلكل غصن قافية تتخذ في أجزاءه على أنها تتخذ في الوزن المرشحة، إذن تتوالى فيها الأقفال: المتحددة وزنا وقوافي، وتتوالى بين كل قفلتين الأغصان التي تتخذ في الوزن ويكون لكل غصن قوافيه الداخلية الخاصة به (3)

(1) تاريخ الأدب الأندلسي إحسان عباس عصر سيادة قرطبة إحسان عباس ص 25
(2) المختار من الشعر الأندلسي محمد رضوان الداية ص 50
(3) في الأدب الأندلسي محمد رضوان الداية ص 178 – 179

أنواع الموشح:

للموشح نوعان، التام والأقرع، فالتام هو ما توفر به المطلع وقد مرت منه نماذج متعددة، ونضيف إليها قول ابن سهيل:

لزهرة البستان في غصنها الفينانْ عَرفٌ نِفوحْ

فباكر الخلان في رَوضةِ الريحانْ إلى الصَّبوحْ

فهذه الأقسمة تمثل المطلع في هذه الموشحة، ولذلك يسمى الموشح تاما أما الأقرع فهو الذي يخلو من المطلع، ويبدأ مباشرة بالدور منة قول ابن الصباغ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

لأحمدَ المصطفى مقامُ

جل عُلاً فلا يُرامُ

بنوره يهتدي الأنامُ

فأي شمس وأي بدر قد أطلعته لنا السعودُ (1)

الموشحات كغيرها من الألوان الأدبية وتتجلى موضوعاتها في الغزل والخمر والطبيعة ومن موضوعات تدع المشاعر تنطلق من سجيتها دون تكلف أو تصنع. (2)

يقول ابن دحية:

سَدَلْنَ ظَلاَمَ الشُعُور علَى أوْجُه كالبدور

سَفَرْنَ فَلاَحَ الصَبَاح

ضَحَكْنَ ابتسام الأقَاح

كَأنَ الذِي فِي النُحُور تَخَيَرْتَ مِنْهُ الثُغُور

(1) ينظر تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف، ص 164

(2) الموشحات الأندلسية انطوان محسن الكتاب العربي، بيروت، ط3 2003، ص 13

ففي هذه الموشحة بداية بمطلع ثم دور ثم قفل كان فيها زخرفة وانسجام في الألفاظ وتناغم في العبارات، إذ جمع ابن دحية في غزله والإعجاب بجمال صواحبه، حيث يصف الجمال والحسن من جهة ومن جهة أخرى ينتقل بصده بين ثغورهن التي تزداد بها نحورهن. (1)

أما الوصف فنجده في قول "يحي بن بقي":

عَطا بُلْيَتُه وَمرَ كالظبي لَبِيدُهُ

فدل عليه تَكْثُر الحُلْـــي بَجيدُه

تَفَيَّرَ عينه يُسْرع فِي بَرِي عَمِيدُهُ

نلمس في هذا الموشح ذو السمط المركب من ثلاثة أجزاء ميلا إلى الترصيع والزخرفة والإبداع في التصوير حيث كان ميله إلى التلميحات كما جاء في البيت الأول، ولقد كان في هذه الموشحة وصف بن بقي لمحبوبته وكأنها ظبية حقيقية مصورا بذلك جمال جيدها ويقول أنه رآها لمحا إذا مرت سريعا إلى منزلها، وبعدها يغور إلى نفسه فيقول أنها ليست من الظباء بل هي من النساء إذ سمع صوت الحلي بجيدها.

ويقول "عبادة بن ماء السماء":

لَيْلِيةُ الذَوائِـــب وَوَجْهَهَا نَهَارُ "

مَصْقُولَةُ التَرَايُبِ وَرَشْفُهَا عَقَارُ " "

أَصْدَاغُهَا عَقَارب وَالخَدُ الجَلْنَارُ (2)

(1) في الأدب الأندلسي محمد رضوان الداية ص 152

(2) المرجع نفسه ص 158

" الذوائب: الظفائر

" " العقار: الخمر

وهي موشحة ذات سمط من جزئين امتزجت بين الغزل والخمر، كما احتوت على سران، سر جمال الموشحة وسر الإحسان العاطفي، فنجده اقتبس سواد الشعر من الليل وحسن الوجه من إشراقة الصباح في أجزاء السمط الأول ثم يواصل الوصف والمزج بين الخلق الرباني لمحبوبته ومظاهر الطبيعة، وهو وصف ثقافي فيه الشاعر لمحا وتأملا وبناءا وتنميقا.

وهناك موشحة أخرى "للحفيد بن زهر" يصف فيها مجلس من مجالس الأندلس في روعة الطبيعة يقول:

مـــا للمولـه من شكره لا يفيق يا له سكران
من غير خمر ما للكئيب المشوق يندب الأوطان
هل ستعـــادُ أيامنـــا بالخليـــج وليـــا لينـــا
إذ يستفـــادُ من النسيج الأرمَج مسك دراينا (1)

وهنا نرى الوشاح يصف الطبيعة فهو بهذا يصف ظل المرأة والخمر على كل شيء.

- ومن هنا يتجلى أن الموشحات كانت في مختلف الأغراض كالغزل والخمر ووصف الطبيعة والمدح، لأن أبهى مجالس الغناء كانت تعقد في قصور الملوك والأمراء والتغني بمن فيهم يقول جودت الركابي: "ويظهر أن الموشحات خلقت لتصف حياة الرقة والأنس والهناء، ولهذا كلما تعرت لهذه الأغراض بدأ تأثيرها وظهرت جدتها وكانت أعلق بالنفوس، وكيف أنها ملتقى العشاق وساحة اللهو والطرب ومبعث السلوان والحنين". (2)

(1) الموجز في الأدب العربي وتاريخه،حنا الفاخوري،دار الجيل بيروت،المجلد الثالث،ط3 2003،ص 188
(2) الموشحات الأندلسية،انطوان محسن القوال،ص 12

الأزجال:

أ- تعريف الزجل: وهو في اللغة التطريب، وقد سمي به الأندلسيون الفن الشعري العامي مقابل الموشحة، ونشأ للتغني به في الطرقات والأسواق والمحافل العامة.

ومن أشهر الزجالين: "ابن قزمان"، "ابن عبد الرؤوف"، "صفي الدين الحلي" ويعتبر صفي الدين الحلي أول من بحثها ودرسها، وحاول أن يعرض شيئا من تاريخها وخصائصها العروضية واللغوية، ولو أنها كانت مضمونة بلغة رومانية أو لاتينية التي كانت دراجة في الأندلس.

ب- نشأته: نشأ مع الموشحة منذ أواخر القرن الثالث الهجري وأن قاعدته الأساسية هي أن يكون بلغة عامية تخلوا من الإعراب ومن التفاصح بالألفاظ العربية الجزلة، وأن أول من اتخذ هذه القاعدة أساسا للزجل أخطل بن نماره، ويجزم ابن خلدون بأنها ظهرت متأخرة محاكاة للموشحة يقول: "لما شاع فن التوشح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه نسجت العامة من أهل الأمطار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل". (1)

كان أهل الأندلس يقولون أن ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة، فابن قرمان ملفت للمعنى، ومدغليس ملفت للفظ. (2)

ومن أغراض الزجل الحضارية:

- وصف الطبيعة: عبر الزجالون عن تفننهم بطبيعة بلادهم الجميلة، فوصفوا الرياض والأشجار و الأزهار

(1) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص 163 - 164
(2) المرجع نفسه، ص 166

يقول أبي الدباغ في وصف روضة:

لاَ شَرَابَ إلاَ فِي بُسْتَانِ والرَبِيعُ قَدْ فَاحَ نُوَارَ

يَبْكِي الغَمَامُ وَيَضْحَكُ أقْحُوَانُ مَعَ بَهَـارَ

وَالمِيَاهُ مِثْلُ الثَعَابِينُ فَذَاكَ السُـوَاقُ دَارُو

وَالطُيُورُ تَحْكِي المَثَانَى وَنَسْقُهَا أحْسَنُ سِيَاقًا (1)

في هذه الأبيات أبد الشاعر في وصف هذه الروضة مبرزا جمالها بثمارها وطيورها وأزهارها التي تعد مظهرا حضاريا.

ويقول صفي الدين الحلي في وصف الربيع والطبيعة:

الرَّبِيعُ يَنْشُـرَ عْلاَمُ مِثْـلُ سُلْطَـانًـا مُؤَيَـدْ

وَالثمارْ تنثـر حلية بِثِيَـابْ بَحَـلْ زَبَرْجَدْ

والرياض تلبس غلالا من نبـات قَحْـلَ زمرُدْ

وَالبهار مَعَ البَنَفْسَجْ يَا جَمَال أبيضْ فِي أزْرَقْ(2)

(1) الشعر في عصر الموحدين،فوزي عيسى،ص 449

أبا الحريم تحدث ، ها وبابا .

خاتمة

خاتمة

بعدما تم عرضه في المتن من الحضارة الأندلسية والتعرض لأهم المظاهر الحضارية فيها نخلص إلى النتائج التالية:

1) وتقت القصيدة الأندلسية الصلة بين الأدب والحضارة فتوضحت الرؤيا بالنسبة للمؤرخين الذين حرصوا على استلهام عناصر الحضارة من معاني الشعر وأغراضه.

2) توفرت القصيدة الأندلسية على كثير من مظاهر الحضارة التي مثلت جانبا مهما من جوانب الدولة الأندلسية في كل مراحل حياتها.

3) أولى شعراء الأندلس اهتماما بالغا وغير مقصود لرعاية ووصف كل ما يتعلق بالحضارة الأندلسية في كل جوانبها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

4) توثقت الصلة بين الحضارات العربية العباسية والأندلسية على وجه الخصوص رغم الفواصل الزمانية والمكانية، وتشكلت تراكمات حضارية استفادت منها كلتا الحضاريين.

5) أثبت التاريخ أن الحضارة الأندلسية حققت المساواة العنصرية والتسامح الديني بين عناصر المجتمع.

6) شهدت الصناعات في بلاد الأندلس تقدما عظيما في جميع الميادين وخاصة في مجال الصناعات اليدوية مما دفع المجتمع إلى التحضر في المعاش والحياة الاجتماعية.

7) نشأة الحياة الأندلسية في جو حافل بالموسيقى ووسائل الطرب فكل شيء في الأندلس جمال وموسيقى، ونتيجة احتفاءهم بالموسيقى برزت الموشحات كفن من الفنون الموسيقية والشعرية التي ميزت الأندلسيين عن غيرهم.

8) تطور الثقافة نتيجة اعتناء الخلفاء والحكام بالعلم والعلماء وتسخيرهم للإمكانات المادية والمعنوية لرعايته وكنتيجة لذلك برع الأندلسيون في عدة علوم منها علوم الطب والفلك

والجغرافيا وعلم التفسير وغيرها من العلوم، كما تعد الحضارة الإسلامية في الأندلس منبع تطور العلوم، كما قدمت الكثير من العلوم النافعة وأثبتت دور الإسلام فيها.

9) تميز الأندلس بطبيعة في سهولها ووديانها وأشجارها وبساتينها وهذا ما دفع الشعراء إلى التغني بها.

وفي الأخير فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص:

- سورة الأنعام الآية 102

- سورة آل عمران الآية 64

- سورة الحجر الآية 09

- سورة الحشر الآية 07

- سورة الفاتحة الآية 05

- سورة المائدة الآية 122

- سورة النساء الآية 01

2- الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين ط1

3- الأدب العربي في الأندلس تطوره وموضوعاته وأشهر أعلامه، علي محمد سلامة، دار الموسوعات العربية ط1 ، 1989

4- الأدب العربي وتاريخه، الأدب في الأندلس والمغرب وأدب الانحطاط حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت 1991، الجزء 4، المجلد 3

5- استحياء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، منصور محمد ياسين، عالم الكتب الحديث 2006 م

6- بحوث في الأدب الحضاري في العصر العباسي الشمعة، الكتابات النقوش، التجليات أحمد فهمي عيسى، كلية التربية بدمياط.

7- تاريخ الأدب الأندلسي، إحسان عباس، دار النشر والتوزيع 2001 ط1

8- تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع 2008 ط1

9- تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكريا العناني، دار المعرفة الجامعية ط1

فهرس المصادر والمراجع

10- تاريخ الأدب العربي حنا الفاخوري، دار الأصالة، الجزائر 1987 ط2

11- تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف، دار المعارف ط3

12- التاريخ العباسي والأندلسي أحمد مختار العبادي، دار النشر للنهضة العربية للطباعة 1882

13- تاريخ العرب في بلاد الأندلس محمود السيد مؤسسة شباب الجامعة.

14- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل ابراهيم السامراني، عبد الواحد، دنون طه، ناطق صالح مطلوب، ط1، حريزان يونيو 2004 افرنجي المداد الإسلامي، ط1.

15- تاريخ الفكر العربي في الأندلس أنخل بالنتيا نقله عن الإسبانية حسن مؤنس 2006 مكتبة الثقافة الدينية.

16- الثقافة العربية ومستقبل الحضارة محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء 2008 ط1

17- حضارة الأندلس في الزمان والمكان أعمال الندوة الدولية.

18- الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية عبد المقصور، عبد الحميد أبو عتيبة، الجزء 2 دار الكتب العلمية بيروت.

19- الحضارات البشرية ومنجزاتها محمد سعيد حمدان، محمود عواد الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.

20- الحضارة العربية الإسلامية صالح النعيمات، نوفان، رجا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر شركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة.

21- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس سلمى الخضراء الجيوسي مركز الدراسات الوحدة العربية 1999 ط1 ، الجزء 1 .

22- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس سلمى الخضراء الجيوسي، الجزء 2 .

23- الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون، اسحاق رباح، سليمان أبو سليم دار الكنوز، المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ط2 .

24- الخط والكتابة في الحضارة الغربية بقي وهبب الجيوري، دار الغرب الإسلامي ط1 .

فهرس المصادر والمراجع

25- دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة كمال السيد أبو مصطفى مركز الإسكندرية للكتاب.

26- دراسات في الأدب الأندلسي العربي سالم شريف، دار الشموع للثقافة 2003 ط1 .

27- دراسات في الأدب الأندلسي محمد سعيد محمد منشورات جامعة سبها 2001 .

28- ركائز الحضارة العربية الإسلامية مفهوم العلم، الإيمان في الإسلام، عبد الحميد مهدي دار الشهاب باتنة.

29- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين فوزي عيسى دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط1 2007 .

30- الشعر السياسي في الأندلس في عصر ملوك الطوائف محمد شهاب العافي، دار الدجلة، عمان ط1 ، 2001 .

31- الشعر في عصر المرابطين والموحدين، محمد سعيد الجامعات العراقية ط3.

32- الطرب الأندلسي مجموعة الأشعار والأزجال موسفى صنعة أحمد سري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر 2001.

33- العرب في الأندلس لجورج غريب دار الثقافة بيروت.

34- في الأدب الأندلسي محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت.

35- الفنون الإسلامية إياد صقر دار المجد لاوي، عمان، 2003، ط1.

36- الفن الإسلامي في إسبانيا مانويل جومي مورينو، مؤسسة شباب الجامعة .

37- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية وعمرانية أثرية في العصر الإسلامي دار النهضة العربية 1972.

38- الكتاب في الحضارة الإسلامية يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي ط1.

39- لسان العرب ابن منظور، بيروت، دار احياء التراث العربي 1988.

40- الموشحات الأندلسية انطوان، محسن القوال، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 2003.

41- مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن دار القلم بيروت 1984.

فهرس المصادر والمراجع

42- معالم التاريخ وحضارة الإسلام، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دار الفكر العربي القاهرة 1998.

43- مقومات الحضارة الإسلامية في الإسلام حسن رمضان فحلة دار الهدى، عين ميلة الجزائر ط1.

44- معالم الحضارة العربية الإسلامية مدخل نظم علومه زراعة واجتماعيات وعمارة وفنون تأثيرات اسماعيل السامعي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية 2007.

45- مقدمة الحضارة عند مالك بن نبي وارنوا توينبي آمنة تشيكو المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1980.

46- المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، محمد عويد ساير الطربولي مكتبة الثقافة العربية القاهرة 207م.

47- المختار من الشعر الأندلسي محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت، ط3، 1991.

48- نظرات في الثقافة الإسلامية عز الدين الخطيب التميمي عمار فرقي باتنة.

49- وحدة الفنون الإسلامية، غازي سكراشي، شركة المطبوعات 1990، ط1.

50- الوسيط في الحضارة العربية الإسلامية، عماد الدين خليل، فايز الربيع، دار المكتبة حامد 2004 ، ط1.

51- ومضات الحضارة الإسلامية ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي، دار المناهج 2004 ، ط1

الأنترنيت

الفهرس العام

مدخل تمهيدي: ماهية الحضارة العربية الإسلامية

أ- ماهيتها..... 02

لغة..... 02

اصطلاحا..... 03

ب- عوامل الحضارة..... 05

ج- مصادر الحضارة..... 06

د- خصائص الحضارة..... 10

ه- عناصر الحضارة..... 15

الفصل الأول: العصر الأندلسي

المبحث الأول: العصر السياسي..... 20

المبحث الثاني: العصر الاجتماعي..... 33

المبحث الثالث العصر الاقتصادي..... 41

المبحث الرابع: عصر العلوم..... 48

الفصل الثاني: مظاهر الحضارة العربية الإسلامية

المبحث الأول:الغناء والموسيقى..... 56

المبحث الثاني: الثقافة..... 61

المبحث الثالث: الفنون الإسلامية..... 65

المبحث الرابع: فن الزخرفة..... 76

المبحث الخامس: العلوم..... 80

المبحث السادس: الألبسة..... 87

المبحث السابع: الخط العربي..... 93

الفصل الثالث: تجليات الحضارة في القصيدة الأندلسية

المبحث الأول: المظهر الديني.....98

المبحث الثاني: المظهر الثقافي.....103

المبحث الثالث: المظهر الطبيعي.....105

المبحث الرابع: المظهر العمراني.....112

المبحث الخامس: الموسيقى.....121

المبحث السادس: الموشحات.....125

الخاتمة.....132

فهرس المصادر والمراجع.....135

الفهرس 140